في رحاب فن المقال

أسئلة مشروعة وأخرى ممنوعة

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

القاهرة
١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

قال تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (هود :٨٨)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

فهذه مجموعة من المقالات المتنوعة تتناول عددًا من القضايا الإيمانية والأخلاقية والوطنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإنسانية ، قدمت لها بمقدمة هامة حول فن المقال طبيعته وأسس بنائه ، مع التفرقة بين تجارب الهواة وحرفية المتخصصين في كتابة المقال .

وعلى شاكلة ما يصنع كتاب الأقصوصة والقصة القصيرة ومحاكاة لهم في اختيار اسم القصة أو الأقصوصة الأهم لديهم عنوانًا للمجموعة القصصية كلها اخترت عنوان "في رحاب فن المقال" ثم أردفته بالعنوان الفرعي "أسئلة مشروعة وأخرى ممنوعة" لتسليط بؤرة اهتمام المتلقي على هذين المقالين ، حيث أعدها خلاصة وعصارة لفكرة اختمرت في الذهن طويلاً ولم تكن أبدًا عفوية أو تلقائية ،

فالموضوع الأول في رحاب فن المقال ناتج عن تجربة أكاديمية عشتها لأكثر من ثلاثة عقود ، مارست فيها فن المقال إما دارسًا ، وإما ناقدًا ، وإما كاتبًا ، أما العنوان الفرعي الآخر فهو مزيج بين هذه التجربة الأكاديمية وتجربة حياتية أخرى لازمتني فترة غير قصيرة من الزمن .

وإني لأرجو أن يقدم هذا الجزء تجارب تستحق ما يبذل في قراءتها أو إعادة قراءتها من وقت وفكر أوكد للذهن.

وقد آثرت السهولة واليسر ، وتجنب كل ألوان التكلف والتعقيد لفظيًّا كان أم معنويًّا ، فإن كنت قد وفقت فيما قصدت فذلك فضل الله وكرمه وعونه وتوفيقه ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولت واجتهدت .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف – عضو مجمع البحوث الإسلامية
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في رحاب فن المقال

فن المقال واحد من أهم الفنون الأدبية التي ساعد انتشار الصحافة الورقية والإلكترونية على ازدهارها في عصرنا الحديث، وهو فن الفكرة المركزة، واللمحة العابرة، والكلمة المنتقاة، غير أن هذا الانتشار الواسع السريع لهذه الصحف الورقية والصفحات والمواقع الإلكترونية قد أغرى كثيرين من غير المؤهلين لاقتحام فن الكتابة بصفة عامة والمقال بصفة خاصة، لإدراكهم وعورة مسالك الفنون الأدبية الأخرى من الشعر، والقصة ، والرواية، وحتى القصة القصيرة والأقصوصة، ظنًّا منهم أن المقال هو الباب الأيسر والألين والأطوع والأقرب، متوهمين أن كل مجموعة جمل مرصوصة أي رص كان حتى لو كان بلا رصف ولا سبك ولا حبكة ولا أدوات فنية يمكن أن يكون مقالا أو أن يجعل من

صاحبه كاتبًا، حتى رأينا بعضهم يكاد يكون خطيبًا أو مؤلفًا أكاديميًّا، فيستهل المقال بما يستهل به الخطبة أو الكتاب، ولا يكاد بعضهم يفرق بين الخبر والحكاية والمقال ، مما يتطلب من المتخصصين المؤهلين وقفات نقدية، كما يتطلب من القائمين على الصحف السيارة وبخاصة الكبرى منها ومن كبار كتابها وناقديها نظرات فاحصة فيما ينشر، وعقد دورات تدريبية وتأهيلية لشباب الكتاب، وأن تظل الأعمدة الكبرى مدراس فكرية، وألا يسمح لغير كبار الكتاب باختراق مساحتها، في تمييز واضح بين كبار الكتاب وأعلامهم وبين الهواة الذين يجب أن ينشر نتاجهم في أبواب بريد القراء ونحوها، وهو ماتزال بعض الصحف الكبرى تحافظ عليه إلى حد كبير .

وأكاد أجزم أن صفحات الرأي، وأقلام كبار الكتاب،

وقدرة الصحف على استقطاب أولئك الكتاب الكبار للكتابة فيها مع مصداقية الصحيفة فيما ينشر من أخبار هو أهم ما يميز صحيفة على أخرى ويعطي لهذه ميزة على تلك، ويشجع القارئ الواعي المثقف على إيثار شراء صحيفة دون أخرى، بل قد يكون كاتب بعينه أو كاتبان أو بعض الكتاب هم سر مداومة بعض القراء على قراءة صحيفة دون أخرى أو أن يكون للأخرى نفس الأولوية أو درجة الإقبال والشغف عندهم، كما أن بعض الأبواب الثابتة قد تكون وراء رواج صحيفة دون أخرى أو زيادة نسبة التوزيع في يوم عنه في يوم آخر، وأودُّ لو كان في كل مؤسسة أو وسيلة نشر صحيفة كانت أم مجلة أم موقعًا إلكترونيًّا وحدة لضمان جودة الأعمال فكريًّا وفنيًّا وإبداعيًّا فضلا عن رصد الأخطاء الفادحة أسلوبيًّا ولغويًّا وطباعيًّا في ما ينشر على بعض

المواقع، مما يفقد الأعمال جانبًا كبيرًا من قيمتها وبهائها ورونقها فضلاً عن تقديرها واحترامها في بعض الأحايين، حتى صار الإتقان الذي هو أصل من أصول ديننا استثناء، وكاد الاستثناء في الخروج على النص أن يكون أصلا، وكُتَّاب المقال على الجملة فريقان : الكاتب المتخصص والكاتب الشمولي ولكل دوره ونكهته، أما الكاتب المتخصص فهو من يحبس نفسه على فن من فنون المقال السياسي، أو الديني ، أو الاقتصادي ، أو الفني، أو الرياضي، أو العلمي، بحيث يصبح علمًا في فنه، وعلامة بارزة بين قرائه المتخصصين بما قد يصل به إلى كونه عمدة أو مرجعًا لا يمكن تجاوزه فيما حبس نفسه عليه، وهذه مدرسة تستحق التقدير، غير أن صاحب هذا الاتجاه مع تميزه الشديد فيه يكون في حاجة ماسة إلى قدرة كبيرة على حبس النفس

على هذا الفن وكبح جماحها عما سواه، نظرًا لاتساع الهموم والرغبة الجامحة لدى كثيرين في الإدلاء في كل فن بدلو أو بطرف، وهذه القدرة على التحكم في النفس لا يستطيعها كل الناس أو كل الكتاب، على أن خروج الكاتب مرة هنا وهناك لا يخرج به عن كونه كاتبًا متخصصًا .

أما الكاتب الشمولي فهو ذلكم الكاتب الذي يتخذ من المجتمع وفنونه وقضاياه المتنوعة مادة خصبة واسعة، فهو أشبه ما يكون بالشاعر أو الروائي أو القاص أو المصور الذي يلتقط كل ما يخطف نظره أو يسترعى انتباهه، ليس حاطب ليل كما يقولون، إنما هو مبدع أو مفكر أو مثقف مهموم بهموم العامة تتسع مداركه الثقافية والفكرية اتساع هذه الهموم وتلك الأماني والمستجدات، فهو متتبع للأحداث متعقب لها يعمل قلمه حيث شد انتباهه، غير أنه في الأعم الأغلب يقف عند ظواهر الأمور، وإن تعمق أو تأمل أو حاول

سبر أغوار بعضها فقد لا يكون بعمق هذا المتخصص المنقطع لفنه، وحتى لو حالفه التوفيق في مقال هنا أو هناك فأصاب فيه المحز، فإن التخصص يظل تخصصًا والمتخصص يظل متخصصًا والمبدع مبدعًا والمثقف مثقفًا والمفكر مفكرًا والهواة هواة .

ولاشك أن المقال لا يحتاج إلى مقدمات ، بل إنه لا يحتملها، ولا يمكن أن يحتملها، كما أنه لا يحتمل الحشو ولا الإطناب الممل ولا حتى غير الممل، كما أنه ليس بحثا أكاديميًّا يقوم على التأصيل والتوثيق، أو حشو بعض المصادر هنا أو هناك، كما أنه لا يحتمل تعدد الموضوعات ، فهو فكرة مركزة حيث كانت ، وكيف جاءت ، ومتى انتهت انتهى .

ويجب أن يتحلى كاتب المقال بالموضوعية، فلا يتخذ منه سلاحًا أو سيفًا مسلَّطًا على خصومه الشخصيين، أو يكون المقال وسيلة تكسّب أو ابتزاز، فهذا وذاك مآله إلى السقوط

حتمًا " فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ"، ثم إن المقال شأن أي عمل أدبي إما أن يكون وظيفيًّا فحسب ، أو إبداعيًّا وظيفيًّا، أو إبداعيًّا وظيفيًّا وإنسانيًّا، فالأول يؤدي رسالة آنية وقتية قد تكون مطلوبة في حينها، وقد تكون ملحة لدرجة ألا يُستغنى عنها، غير أن تأثيرها لا يتجاوز وقت نشرها بل حتى قد لا يدرك وقت نشرها لتسارع الأحداث وسرعة تغطية بعضها على بعض ، ومثل هذه الكتابات الوظيفية لا تخلد عملا ولا تحفر اسم كاتبٍ في ذاكرة التاريخ ، وقد يكون المقال مع بُعده الوظيفي متسمًا بسمة الإبداع لغويًّا وأسلوبيًّا أو فلسفيًّا وفكريًّا أو مُتَّسمًا بهما معًا إلى جانب رسالته الوظيفية، مما يجعل تأثيره أوسع وواقعه أفضل، ومجال الاهتمام به أشمل، ولفت النظر إلى كاتبه أشد، وذلك على قدر ما يكون له من بصمة

أو تأثير، فيقال : فلان معني بمقالاته، يحترم ذاته وقلمه وقراءه ومتابعيه، ويقدر لقدمه قبل الخطو موضعها .

أما النمط الأعلى فهو ذلك النمط الذي يمتلك إلى جانب الفكر سحر البيان وناصية القول، فتتدفق البلاغة منه تدفقا، ويهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة، فلا تدري أجاءك هذا الحسن من جهة العمق في الفكر أم من جهة جودة الرصف وحسن السبك وجرس الإيقاع، مع ما يحمله المقال من جوانب إنسانية تكاد تجري مجرى الحكمة ، أو المثل وتتسع الرؤية لدى كاتبه إدراكًا وواقعًا اتساع الكون وجوانبه المترامية، فتتجاوز جميع الأبعاد المحلية إلى أبعاد وآفاق أوسع تنقل صاحبها من المحلية إلى العالمية، وإن كان هذا كله مما يكلف صاحبه كثيرًا من الجهد والمشقة ويحتاج إلى مزيد من التريث ومن العناء والمثابرة .

ومن حيث الكم وعدد الأسطر والكلمات، يمكن أن تقسم الكتابة المقالية إلى أربعة ألوان : أولها وهو الأشد قصرًا ويمكن أن يأتي في سطرين إلى خمسة أسطر وبما لا يزيد عن خمسين كلمة ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه همسة أو لمحة، وثانيها الخاطرة وتأتي ما بين ستة أسطر إلى عشرة أسطر، وبما لا يجاوز مائة كلمة، وثالثها المقال ويكون ما بين أحد عشر سطرًا إلى خمسين سطرًا وبما لا يجاوز خمسمائة كلمة، وما زاد على ذلك فهو مقالة، إذ إن زيادة المبنى تدل على زيادة المحتوى أو المعنى، وليس هذا تقسيمًا رياضيًّا أو نهائيًّا أو قاطعًا، إنما هي محاولة لتقريب المصطلحات ورؤية تطرح للنقاش القابل للمراجعة أو النماء قد نتفق حولها أو حول بعضها وقد نختلف وقد نسمع رأيًا آخر نراه أدق فنعدل عن رأينا هذا إليه ، فهي رؤية للتقريب ، ومحاولة

التقنين، ووضع الأسس التي يمكن أن تسهم في لفت نظر الناشئة من شباب الكتاب والباحثين إلى بعض الموازين التي يَزِنُونَ بها والمقاييس التي يقيسون عليها .

ويبقى مع كل ذلك ما يعطى لهذا المقال بصمة دون ذاك أو أفضل منه، أو ما يجعل لمقال ما أو كاتب ما رونقًا خاصًا وسمات مميزة، بحيث تكاد تشير إلى صاحب المقال حتى لو حذف اسمه عن مقاله، فله لازمته، ولقلمه رونقه، ولكلماته جرسها وإيحاؤها ورمزيتها، ولجمله موسيقاها، ولعمق تفكيره وتأمله ما يجعل الجميع يشيرون إليه دون سواه ، ولا عزاء للدخلاء.

* * *

أسئلة مشروعة وأخرى ممنوعة

لا شك أن في نفس كل إنسان منا أسئلة يراها مشروعة وأخرى يراها ممنوعة أو يتوجس أن تكون ممنوعة، أو يطوي عليها نفسه ولو بشق الأنفس، غير أن هذا المنع ليس شرطًا في كل الأحوال أن يكون ناتجًا عن عوامل خارجية كالضغط أو التضييق أو خوف المحاسبة على الكلمة، فقد يكون المنع ذاتيًّا ناتجًا عن شدة الإحساس بالمسئولية، أو الالتزام الأدبي أو الاجتماعي أو المجتمعي أو حتى السياسي، ولأن طرح بعض الأسئلة قد يحمل على غير وجهه، ويُحمّل ما لا يحتمل، فليس كل ما يعلم يقال، أو يناقش عبر الصحف ووسائل الإعلام، أو يطرح على العامة، وقد كان الإمام علي (رضي الله عنه) يقول : خاطبوا الناس بما يفهمون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ فلا ينبغي خطاب أحد بما يفوق مستوى إدراكه العقلي والفكري والثقافي

والمعرفي، قطعًا للجدل ودفعًا لسوء التأويل، وبخاصة إذا كان هناك متربصون يحاكمون على الضمائر والنيات، بل قد يختطف بعضهم كلمة من هنا أو جملة من هناك، أو ينتزع هذه أو تلك من سياقها ، ليبني عليها حكمًا متيقنًا يريده هو لا قائله ولا كاتبه، أو يتخذ ذلك وسيلة للإثارة أو التشهير، مما جعل كثيرين يؤثرون السلامة، ويرون الصمت أبلغ مائة مرة من الكلام، ولا سيما لو كانوا في موضع لا يحتمل الجدل، فيحتملون ما يحتملون، إيثارًا للعام على الخاص ، ولو كلفهم ذلك ألم النيل ظلمًا وعدوانًا منهم، أو رميهم بما هم منه براء.

ومع كل هذه المحاذير فإننا نؤكد أن من يصدق النية لدينه ووطنه، ويثق فيما عند الله (عز وجل)، ويدرك أن الأمر كله بيده سبحانه وتعالى وحده دون سواه، وأن ما أصاب الإنسان ما كان ليخطئه، وأن ما أخطأه ما كان ليصيبه، وأن الأمور كلها بالمقادير، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه

وسلم) : "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف"، فمن تكن ثقته في الله (عز وجل) كذلك، ويوقن أن مصلحة دينه لا تنفك عن مصلحة وطنه، وأن مصلحة وطنه لا تنفك عن مصلحة دينه، فإنه سيفعل ما في صالحهما دون نظر إلى ما يكون له أو عليه بعد ذلك.

ومن الأسئلة التي نطرحها نجيب على بعضها ونترك للقارئ اللبيب الإجابة على بعضها الآخر : هل الإخوان يفكرون مرة أخرى في العودة إلى المشهد السياسي ؟ وهل يفكرون ومعهم غيرهم في اختطاف الخطاب الديني مرة أخرى ؟ وهل يحاولون ذلك الآن ؟ وهل يحاولون التسلل عبر المؤسسات المختلفة: دينية، وتعليمية، وثقافية، وفكرية، واقتصادية، وخدمية، وإدارية ؟ وهل هناك ممانعة كافية وحصانة في جسد هذه المؤسسات تحول دون حدوث

الاختراق ؟ وهل استوعبنا التجربة المرة لعام الإخوان الأسود بما يجعل لدينا العزيمة والإصرار على عدم السماح لعناصر هذه الجماعة الإرهابية باختراق مؤسساتنا وبخاصة الدينية والثقافية والفكرية مرة أخرى ؟ ومنعهم من بث سمومهم فيها أو عبرها ؟ وهل نسينا إقصاءهم المقيت وإعلانهم غير الدستوري المكبل الذي كاد رئيسهم المعزول أن يقول فيه " مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ " ، بل إنه قد قرر وبتبجح هذا المضمون وأراده واقعًا مُرًّا مفروضًا على المصريين جميعًا لصالح أهله وعشيره وجماعته وقبيله.

وهل لدينا الإدراك الكافي أن قوى استخباراتية كبرى توظف عناصر هذه الجماعة لتفكيك منطقتنا وتفتيت دولها ؟ وهل ندرك أن التحديات مازالت كبيرة وأن الخطر مازال داهمًا ؟ وهل نقف على مستوى هذه التحديات ؟ وهل بقى أي شك في أن هذه الجماعة الإرهابية لا تبقى على دين

ولا وطن ؟ وأين الدين الذي يدّعونه من هذه البذاءات والصفاقات والشتم والسباب بأقذع الألفاظ التي يعف كل أبي كريم فضلا عن أي صاحب دين أو حتى مدعيه عن التفوه به أو بأي منها ؟

وملخص بعض الإجابات من وجهة نظري أن الخطر مازال قائمًا ويزداد، وأن الإخوان وأعوانهم يقاتلون من أجل العودة إلى المشهد السياسي عبر تقسيم الأدوار ما بين عملاء خونة يتطاولون علنًا على أوطانهم ويشهرون بها عبر بعض الفضائيات التي تستضيفها دول راعية للإرهاب وأخرى مستخدمة للإخوان كشوكة في ظهر أوطانهم وسلاح لتفتيت دولهم وتمزيقها ، وآخرين يغيرون جلودهم كالحيات ويعملون على اختراق المؤسسات والسيطرة عليها من خلال خلاياهم النائمة ومن يستطيعون استقطابهم من المخدوعين والمغرر بهم وأصحاب المطامع والأهواء، مما يتطلب الحيطة والحذر والتنبه لمؤامرات هذه الجماعة الإرهابية

وعناصرها وخلاياها الحية والنائمة ، ومن يرعاها ، ومن يستخدمها ، حتى لا نندم حين لا ينفع الندم ، فالسعيد من وُعِظَ بغيره ، والشقي من وُعِظَ بنفسه ، وقد كان سيدنا عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: "لست بالخب ولكن الخب لا يخدعني" ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"، ولن نلدغ إن شاء الله، وسيرد الله (عز وجل) كيد الإخوان وأعوانهم ومستخدميهم في نحورهم بإذنه سبحانه.

* * *

تنافس الأقران والمعاصرين وغير المتناظرين

التنافس نوعان محمود ومذموم ، أما المحمود فهو التنافس في الخيرات والمسابقة فيها ، حيث يقول الحق سبحانه : "سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ ، رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا" ، أي إن كان من شيء يحسد عليه ويتنافس فيه فهو في هذين الأمرين ، أن يكون الرجل أهلا لشكر نعمة المال حق الشكر بإنفاقه آناء الليل وأطراف النهار في سبيل الله ، أو أن يكون من أهل الحكمة والعلم يقضي بهما ويعلمهما للناس.

وقد كان الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) يتنافسون في الخيرات غاية التنافس ، فقد أَخْرَجَ أبو داودَ ، والترمذيُ عن سيدنا عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قال: أَمَرَنَا رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يَوْمًا أَنْ نَتَصَدّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي ، فَقُلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا ، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟) قُلْتُ : مِثْلَهُ ، قَالَ : وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟) قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا" ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا) قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضى الله عنه):أَنَا ، قَالَ : (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟). قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا، قَالَ:(فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟)، قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا، قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟)، قَالَ أَبُو

بَكْرٍ (رضي الله عنه): أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَا اجْتَمَعْنَ فِى امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وأما التنافس المذموم فهو المؤدي إلى التحاسد والتباغض والخلاف والشقاق ، المتجاوز الغبطة التي هي تمني مثل ما أصاب الغير من الخير للنفس إلى الحسد الذي هو تمني زوال النعمة عن الآخرين ، وهو القائم على محاولة هدم الآخرين وتحطيمهم وعرقلة مسيرتهم ، وقد يتجاوز ذلك إلى الانشغال بهدم الآخرين عن بناء النفس ، يقول القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في مقدمة كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه " : وأهل النقص رجلان : رجل أتاه التقصيرُ من قبَله، وقعَد به عن الكمال اختيارُه، فهو يساهم الفضلاءَ بطبعه، ويحنو علي الفضل بقدر سهمهِ؛ وآخرُ رأى النقص ممتزجاً بخِلقَته، ومؤثّلاً في تركيب فطرته، فاستشْعر اليأس من زواله، وقصُرتْ به الهمةُ عن انتقاله؛ فلجأ الى حسَد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغَ

الأمور في جبر نقيصته، وستْر ما كشفه العجزُ عن عورته اجتذابُهم الى مُشاركته، ووسمُهم بمثل سِمَتِه .

وغالبًا ما يكون التنافس الذي قد يصل عند بعض الناس إلى حد التناحر بين الأقران والمتناظرين ، فقد يظن بعضهم أن الأماكن أو المناصب أو المكاسب محصورة بين الشخص ومن ينافسه فإما أنا وإما أنت ، متناسين أو متجاهلين ما يخبئه ويضمره القدر في الأعمار وتقلبات الأيام والأحوال والأشخاص ، وأن الأمر كله بيد الله وحده ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما كان للشخص سيأتيه ، ولا يغني حذر عن قدر ، وأن الرزق ماديًا أو معنويًا لا يرتبط بالذكاء أو المكيدة أو التدبير ، وإلا هلكن إذن من جهلهن البهائم على حد تعبير الشاعر العباسي أبي تمام .

فعلى العاقل أن يدرك أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ، "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو

اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام ، وجفت الصحف " ، ويقول الحق (سبحانه وتعالى) : " قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " ، ويقول (سبحانه) : " قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ" .

وإذا كان التناسب يقتضي أن يكون العنوان تنافس الأقران والمعاصرين والمتناظرين فإني آثرت كسر المألوف إلى التعبير وعن قصد بغير المتناظرين ذلك أن دوائر التحاسد والتباغض ربما اتسعت لدى بعض من اسودت قلوبهم ونفوسهم واتشحت بأشد درجات السواد قتامة ، وأعلى درجات الحسد والحقد سما زعافا ، فشملت لديهم المتناظرين وغير المتناظرين قافزين على كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية التي تدعو إلى حب الخير للناس

جميعًا، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ " ، ويقول عليه الصلاة والسلام : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " ، فما أحوجنا إلى هذه الأخلاق الكريمة المنبثقة من الروح الإيمانية الصافية بما يهيئ لحياة آمنة مستقرة لا قلق فيها ولا اضطراب ولا تحاسد ولا بغضاء .

* * *

مسجد التسامح

في صحبة الزملاء الأعزاء وزراء الثقافة والصحة والسياحة والطيران والهجرة ونخبة من علماء ورجال الدين الإسلامي والمسيحي ومن الأدباء والمثقفين والفنانين والمبدعين وشيوخ قبائل جنوب سيناء وأهلها من البدو والحضر على حد سواء قضينا سويعات هامة في مدينة سانت كاترين بعبقها التاريخي ، حيث صلينا الجمعة في مسجدها المبارك مسجد الوادي المقدس ، في الوادي المقدس ، في أرض سيناء المباركة ، كما صلينا ركعتي الضحى في مسجد يطيب لي أن أطلق عليه مسجد التسامح ، حيث يقع المسجد في قلب دير سانت كاترين كرمز من أهم رموز التسامح الديني في أرض التسامح سيناء في بلد التسامح مصر الكنانة ، مهد الحضارات

وملتقى الأديان حيث يلتقي تسامح الماضي بتسامح الحاضر، فحضارة عمقها وعبقها أكثر من سبعة آلاف عام لم تعرف في تاريخها الاعتداء على الآخر أو غمطه حقوقه ، إنما قامت دائمًا على قبول التنوع والتعايش مع الآخر وإكرام الضيف ، حتى في عهود الفراعنة حيث استقبل ملك مصر أو عزيز مصر آنذاك أهل الشام واقتسم معهم لقمة العيش ، حينما كانت تأتي قوافلهم إلى مصر لتعود محملة بالزاد والطعام ، وهو ما حكاه القرآن الكريم عن إخوة يوسف حين جاءوا إلى مصر طلبًا للزاد والطعام حيث يقول الحق على لسانهم : "فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" ، وما كان من يوسف عليه السلام إلا أن قال لأبويه وإخوته ومن قدم معهم من أهل الشام " ادْخُلُواْ مِصْرَ

إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ " .

وعلى هامش الرحلة يمكن أن نسجل خواطر هامة من أهمها ما حكاه لي بعض بدو المنطقة بفطرتهم النقية وغيرتهم عن قداسة المنطقة ومدى احترامهم لها وإحساسهم بقدسيتها ، وهو ما جعلنا نتفاعل وبشدة معهم ونشعر بما يشعرون به تجاهها " فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى " ، ومنها لقاؤنا بكبير أساقفة دير سانت كاترين الذي رحب بنا وبوجودنا ترحيبًا كبيرًا ، وفي دقائق معدودة قضيناها معًا في صالون استقبال كبار الزوار بالدير دار الحديث حول المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية ، وإجماع الأديان على احترام إنسانية الإنسان وآدميته كونه إنسانًا دون تمييز على أساس الدين أو الجنس أو اللون أو العرق ، وحق كل إنسان في الحياة الكريمة ، غير أن وقت الجمعة كان قد داهمنا فاضطررنا إلى اختصار الحديث ، وهو ما أكد كبير الأساقفة أننا في حاجة إلى مزيد من هذا

الحوار الإنساني الروحي الهادف ، الذي يجمع ولا يفرق ، فدعوناه إلى زيارتنا في مكتبنا بالقاهرة ، وانصرفنا جميعًا سعداء بهذا التسامح آملين في حوار أوسع ، وفي مزيد من نشر قيم التسامح وثقافة التسامح على كل بقعة من ظهر البسيطة ، لينعم الناس جميعًا بحياة آمنة مستقرة بعيدًا عن مطامع البشر ومحاولات بعضهم توظيف الأديان في غير ما أنزلت له وشرعت لأجله.

* * *

تحريف الدين وتزوير التاريخ

لعل أخطر منطقة ينبغي عدم العبث بها أو المساس بقيمها هي منطقة الدين ، إذ إن المتاجرة بالدين لحصد مكاسب دنيوية تكون وبالا على أصحابها في الدنيا والآخرة، لأن من يفعل ذلك يدخل في حرب مع الله تعالى ، وهي حرب معلومة النتائج ، يقول سبحانه: "بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ".

وقد دأبت الجماعات المتاجرة بالدين على ليّ أعناق النصوص ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، واجتزاء النصوص واقتطاعها من سياقها ، بما ينحرف بها عن غاياتها الشرعية.

وهذا كله إلى جانب استحلال الكذب ، واعتباره تقيّة ، مع احتراف الافتراء المتعمد على الأشخاص والهيئات والمؤسسات والحكومات ، في ميكافليّة مقيتة ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ، ولا تحرّج لديهم من أي وسيلة مهما كانت

مخالفتها للشريعة طالما أنها من الممكن أن تكون خطوة في سبيل تحقيق هوسهم بالسلطة.

أما بث الشائعات وترويجها فهو الشغل الشاغل لكتائبهم الإلكترونية ، ولو أن شباب هذه الجماعات المخدوع المغيّب تأمل ولو للحظة واحدة واعية ، أين ما يفعلونه من كتاب ربنا (عز وجل) وسنة نبينا (صلى الله عليه وسلم) ؟ لربما راجع نفسه واكتشف حقيقة هذه الجماعات الإرهابية الضالة.

ألم يعلموا أن كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، وأن الإسلام حثنا على التبين من الأقوال ، فقال الحق سبحانه : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين" ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" (المستدرك على الصحيحين) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ" (أخرجه مالك في

الموطأ) ، ويقول الحق سبحانه: "مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" .

وقد حثنا الإسلام على التحلي بالصدق وحذر من سوء عاقبة الكذب ، فقال الحق سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" ، فما بالكم بمن يتعمد الكذب والافتراء حتى يستحلهما ، وحتى يكونا له سجية وخليقة ثابتة أشبه بالطبع منها بالتطبع؟!

يضاف إلى ذلك ما يدرّب عليه شباب كتائب هذه الجماعات الإرهابية من السخرية بالآخرين والعمل على

تشويههم بكل ما أوتوا من خداع وحيل، متناسين أو متجاهلين قول الله تعالى في كتابه العزيز: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" .

إن أعداء الإسلام لو بذلوا كل ما في وسعهم ومُكْنتهم لتشويه دين الله (عز وجل) ما بلغوا معشار ما فعلته هذه الجماعات الإرهابية الضالة المضلّة أو نصف هذا المعشار من تشويه لدين الله (عز وجل) وصد عن سبيله وإضرار بشريعته السمحة الغرّاء.

وقد حذرنا مرارا وتكرارا من التدين الشكلي والتدين السياسي والانخداع بمظاهر وظواهر هذه الجماعات الضالة الآثمة ، مما يتطلب من العلماء والمثقفين والغيورين على دينهم ووطنهم التكاتف والتعاضد لكشف حقيقة هذه

الجماعات الإرهابية والمتطرفة ، وتفويت الفرصة على من يستخدمونها شوكة في ظهر أوطانها وحربة في قلب ديننا السمح الحنيف الذي جاء رحمة للبشرية جمعاء ، حيث يقول رب العزة (عز وجل) مخاطبًا نبينا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" ، ولم يقل رحمة للمسلمين وحدهم أو المؤمنين وحدهم أو الموحدين وحدهم ، فهو دين الرحمة ، ونبينا نبي الرحمة ، ويجب أن نكون جميعا دعاة رحمة وأمن وأمان وسلام للبشرية جمعاء.

*   *   *

المنتـــج الـــوطني

لا بديل أمام الجميع سوى تشجيع المنتج الوطني المحلي على كل المستويات ، فمع صعود أرقام الواردات في بعض السلع الكمالية والسلع التي لها بديل أو نظير وطني إلى مبالغ طائلة في ظل ظروفنا الاقتصادية الاستثنائية ، فإن الأمر يتطلب تحركًا سريعًا على جميع المستويات .

وفي إطار الاتفاقيات التجارية الدولية يظل الوازع الوطني هو الأهم لدى المسئولين عن المناقصات والمزايدات وأوامر الشراء في جميع المؤسسات والقطاعات الحكومية وقطاع الأعمال أو الشركات والمؤسسات العامة والخاصة هو الأجدى والأهم في مجال التطبيق ، ولا يمكن

إغفال دور منظمات المجتمع المدني والضمير الوطني العام لدى جميع أبناء الوطن ، فتشجيع المنتج المحلي الوطني يسهم في دوران عجلة العمل بالمصانع المحلية ، ويوفر المزيد من فرص العمل لأبنائنا وشبابنا، ويوفر الكثير من العملة الصعبة ، كما ينبغي على التجار أيضًا إيثار المصلحة الوطنية العامة على إيثار المزيد من الكسب السريع .

لكن على الجانب الآخر وبالتوازي يجب التأكيد على أمرين:

الأول : المراقبة الصارمة لجودة المنتجات الوطنية ، بدءًا من تحديث آلات ووسائل الإنتاج إلى تدريب وتأهيل العمال والصناع ، إلى أن تصبح الجودة والإنتاج ثقافة وطنية عامة ، مع الاستعانة بالخبرات المتميزة في مجالي العرض والتسويق ، وإبراز المنتج الوطني والعمل على

إعطائه مكانة بارزة في العرض والتسويق ، فالمنتج الذي لا يجد صدى واهتمامًا في بلده لا يمكن أن يجد صدى ولا اهتمامًا خارج بلده ، حتى أن بعض الدول والمنظمات والجهات تشترط في بعض المنتجات كالدواء مثلاً تداول المنتج في بلده الأم قبل استيراده منها ، وينبغي أن يكون لدينا جميعًا اعتزاز بمنتجاتنا الوطنية داخل مصر وخارجها ، فديننا دين الإتقان ، حيث يقول الحق سبحانه: " صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ " ، ويقول سبحانه : " إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً " ولم يقل سبحانه إنا لا نضيع أجر من أكثر عملا ، فالعبرة بالجودة والإتقان لا بالكم ولا الكثرة، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ " .

ومن أركان هذا الإتقان أن يقوم كل من توكل إليه

مهمة مراقبة الجودة بعمله على الوجه الأكمل دون أدنى تقصير أو محاباة ، وأن تتم محاسبة المقصرين كما تتم إثابة المتميزين إعمالا لمبدأ الثواب والعقاب ، مع التأكيد على أن ما عند الله (عز وجل) من الثواب والعقاب يتطلب الإتقان في العمل ؛ حرصًا على فضل الله ورحمته واتقاءً لغضبه وعقابه في الدنيا والآخرة .

الأمر الآخر : محاربة كل ألوان الجشع والاستغلال والاحتكار ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) " مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، وفي رواية : " وقد بَرِئَت منه ذمة الله ورسوله" ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ " ويقول (صلى الله عليه وسلم): "مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَاطِئٌ"،

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله ، وَالله بَرِئٌ مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله".

وعلى العكس من ذلك كله فإن ديننا الحنيف يدعو إلى التراحم والتكافل وتخفيف الكرب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" .

* * *

مـــال الوقف ومال اليتيم

مال الوقف هو مال الله ، وهو لما أُوقِفَ له ، فشرط الواقف كنص الشارع ، فهو واجب النفاذ ، مالم يُحِل حرامًا أو يُحَرّم حلالاً ، ولا أعلم وقفا واحدًا أو واقفًا واحدًا أوقف وهو يبتغي وجه الله (عز وجل) ، أحل حرامًا أو حرم حلالا ، إنما هو بغية الفضل والرضا والقبول والمثوبة.

ومال الوقف مال خاص بما أوقف له أو عليه ، غير أن نفعه قد يتعدى الخاص إلى العام ، عندما يكون وقفًا على عموم الفقراء ، أو عموم المساجد ، أو على التعليم ، أو علاج المرضى ، أو على عموم الخيرات باتساع أبوابها .

ومن ثمة فإن حق هذا المال لا يسقط بالتقادم أبدًا ، والاعتداء عليه أو تسهيل الاستيلاء عليه أو الإهمال في حقه

وعدم المحافظة عليه إثم كبير وجرم مقيم ، فهو بمثابة مال اليتيم وأشد ، فكلاهما نار تحرق جسد من يقترب منهما بغير حق في الدنيا والآخرة ، حيث يحول هذا المال الحرام حياة آكله إلى جحيم في الدنيا "وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز : " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً " ويقول سبحانه : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً".

والقائمون على شئون الوقف كالقائم على مال اليتيم ، وقد نظم لهم القانون حقوقهم وواجباتهم ، غير أن هناك

قانونًا أعظم ، لا يفلت منه أحد ، هو قانون السماء وعدالة السماء ، حيث يقول الحق (سبحانه) في شأن القائم على مال اليتيم : " وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ"، فعلينا جميعًا أن نستحضر نية مرضاة الله ، وأن نبتغي – إلى جانب القيام بمهمتنا الوظيفية– وجه الله في الحفاظ على هذا المال ، وأن نحرص على استرداد ما اعتدي عليه منه ، وأن نعمل على تنميته وتعظيم استثماراته وعائداته ، مدركين أن ما نقوم به إنما هو عمل جليل في خدمة الدين والوطن ، وأن نُقْصِيَ عنه أي فاسد أو مُعَوّق ؛ لأن الأمانة ثقيلة لمن أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها، مع تأكيدنا أن الخير في أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى يوم القيامة وسيظل ، وأن هناك مجموعة من الرجال والشباب المؤمنين الوطنيين داخل هيئة الأوقاف وخارجها

يعملون الآن بهمة وحماس للوفاء بمهمتي المحافظة على المال وتطوير وتحسين وتعظيم استثماراته ، مبتغين وجه الله (عز وجل) ، ومصلحة الوطن والوفاء بحق الأمانة التي حملوها ، والخير لأنفسهم ولزملائهم ، وهو ما يستحقون عليه التشجيع والتقدير ، وإن كانت هذه الجهود ما تزال في بدايتها وتحتاج إلى الرعاية والدعم ، وهم ونحن معهم على أمل كبير في النهوض بمنظومة الأوقاف بإذن الله تعالى.

ويبقى هؤلاء المتربصون بالوقف ، المتطلعون إليه ، الذين لا يردعهم دين ولا خلق كريم عن الاعتداء عليه أو محاولات هذا الاعتداء ، أو التحايل في الاستيلاء عليه ظلمًا وعدوانًا غصبًا أو تدليسًا ، أو إيهامًا للنفس بالشراء الذي تحول لدى البعض بصور غير مشروعة إلى محاولات للنهب ، وإلى جانب هؤلاء كل متواطئ أو صامت على جرائمهم ، أو

مستغاث به غير مغيث ، أو غير مكترث ، أو غير مهتم أو جاعل مال الوقف في ذيل أولوياته ، أو ناظر إليه على أنه مال لا صاحب له ، ولهؤلاء وأولئك نقول : إن لهذا المال صاحبًا لا يغفل ولا ينام ، ولن ينتفع أحد بمال الوقف بغير حق فيهنأ به أبدًا ، إنما يكون عليهم حسرة في الدنيا قبل أن يقال يوم العرض على الله (عز وجل) : "وقفوهم إنهم مسئولون" ، فماذا هم لربهم قائلون ؟ .

وعلى الجانب الآخر هناك من يحمل راية الوقف ويريدها عالية خفاقةً ، ويعمل على استرداد جميع حقوقه ، خشية لله ، وإحقاقًا للحق ، وصونًا للوقف ، وتفعيلاً لدوره في العمل الخيري والاجتماعي وصالح الفقراء والمحتاجين ، وسائر أوجه البر التي أوقف لها ، من نشر الفهم المستنير للدين ، وإعداد الدعاة وتدريبهم ، وعمارة بيوت الله ، وسائر

وجوه البر والخيرات ، فجزى الله كل من جعل قضية الوقف نصب عينيه ، ثم يأتي شكر لجميع السادة أعضاء اللجنة المشكلة لاسترداد أملاك الأوقاف والعمل على تعظيم استثماراتها وجميع معاونيهم واحدًا واحدًا ، وأقول لهم ولجميع العاملين بهيئة الأوقاف : إنكم لتؤدون عملا لو تعلمون عظيمًا ، ونحن نعد خطة شديدة الإحكام لحصر أموال الأوقاف ، قائلاً : لو لم نعمل في حياتنا شيئًا آخر غير تحصين هذا المال من النهب للقينا الله عز وجل ونحن على أمل في ألا يردنا عنه خائبين ، وإننا لندرك أن اليوم عمل وغدًا الحساب ، " يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " .

على أننا جميعًا في حاجة ماسة إلى رحمته سبحانه وإلى عونه وتأييده وتسديده، وأن يوفقنا لخدمة دينه، وخدمة

وطننا، وخدمة مال الوقف ، والوفاء بحق ما كلفنا به، وأن يعيننا على ذلك ، إنه وحده ولي ذلك والقادر عليه ، وهو الموفق والمستعان.

* * *

السلام النفسي

ما أجمل أن يعيش الإنسان في سلام مع نفسه، وسلام مع أسرته، وسلام مع عائلته، وسلام مع جيرانه، وسلام مع زملائه، وسلام مع أصدقائه، وسلام مع المجتمع، وسلام مع الناس أجمعين، غير أن هذا السلام لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال نفوس صافية تحكمها ضوابط إيمانية وإنسانية راقية، من أهمها، أن يكون للإنسان وجه واحد ظاهره كباطنه، لا أن يكون من ذوي الوجهين الذين يلقى الواحد منهم هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ " .

ومنها أن يكون محبًا للخير للناس أجمعين، رحيمًا، ودودًا، سهلاً، هينًا، لينًا، يألف ويؤلف، فالمؤمن يألف ويؤلف،

والكافر فظ غليظ لا يألف ولا يؤلف، والمؤمن مفتاح للخير مغلاق للشر، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ "، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ

وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" .

ولا يمكن للإنسان أن يكون في سلام مع نفسه أو مع الآخرين إلا إذا كان منصفًا للآخرين من نفسه يعمل في إطار الحقوق المتكافئة المتبادلة، ويطبق عن قناعة مبدأ الحق والواجب، فالعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على الحقوق المتبادلة ، يقول الحق سبحانه : " وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ"، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، أَلاَ وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ" .

والعلاقة بين المواطن والدولة وبين العامل ورب العمل تقوم على الحق والواجب، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه سبحانه : " قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ"، أما من تغلبه شهوته وأنانيته، فكما يقولون : ما استحق أن يولد من عاش لنفسه.

وهذا السلام النفسي يقتضي أن يؤمن كل منا بحق الآخر في الحياة الكريمة الآمنة المستقرة ، ويدرك أن هناك قواسم إنسانية مشتركة أجمعت عليها جميع الشرائع السماوية، يؤدي الالتزام بها والوفاء بمتطلباتها إلى أن تسود الطمأنينة والاستقرار والسلام النفسي والمجتمعي بين الجميع ، ومن هذه المشتركات ما يعرف بالوصايا العشر التي وردت في

أواخر سورة الأنعام، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"، فقد قال سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب ، وهى محرمات على بني آدم جميعاً، وهن أم الكتاب " أي

أصله وأساسه " ، من عمل بهن دخل الجنة ، ومن تركهن دخل النار.

فلو نظرنا فيما تضمنته هذه الآيات الكريمات من جوانب إنسانية تعد مشتركًا إنسانيًّا بين بني البشر وتسهم في تحقيق أعلى درجات التعايش السلمي فيما بينهم، حيث تقوم على حرمة قتل النفس أي نفس وكل نفس، فكل الدماء مصونة، وكل الأعراض محفوظة، " وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"، ومال اليتيم والضعيف مرعي ومصان، مع الوصية بالعدل مع القريب والبعيد على حد سواء، والوفاء بعهد الله مع الجميع المسلم وغير المسلم، الصديق والعدو، وإقامة الكيل والميزان بالقسط، والبعد عن المال الحرام وكل ألوان الاستغلال والتطفيف والغش والخداع، مما يحقق أعلى درجات الحياة الآمنة في كل جوانبها، ويحقق للإنسان سلام النفس فيما بينه وبين نفسه، وبينه وبين مجتمعه، وبينه وبين الإنسانية، بل الكون كله.

إفشاء السلام قيمة لا شعار

إفشاء السلام ليس مجرد شعار إنما هو قيمة إنسانية راقية حرص ديننا الحنيف على ترسيخها ، فعن سيدنا عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) يقول : لما قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة جئته فنظرت إليه فعرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت منه ؛ " أَفْشُوا السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ" (جامع الترمذي).

ألا ترى هنا إلى حديث من وصفه ربه (عز وجل) بأنه لا ينطق عن الهوى ، وهو يجعل سبيل الدخول إلى جنته في أربعة أمور ، ثلاثة منهم تتصل بالرقي في المعاملة مع الخلق، وهي : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وصلة الأرحام ، وواحدة فيما بين العبد وربه وهي الصلاة بالليل والناس نيام، مع تقديم الثلاثة على هذه الواحدة ، وما ذاك إلا

لحرص الإسلام على العلاقات الإنسانية السوية ، بل أبعد من هذا يحثنا ديننا على إلقاء السلام على من عرفنا ومن لم نعرف ، ويجعل شعار السلام وإلقاءه على الناس علامة الإيمان البارزة الساطعة ، قال تعالى : " وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً " (النساء : ٩٤) ، وحث على مبادلة التحية بأحسن منها أو ردها على أقل تقدير حيث يقول الحق سبحانه : " وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً " (النساء : ٨٦) .

وقد جعل الإسلام للسلام أسسا تندرج جميعها تحت مظلة الرقي الإنساني ، بأن يسلّم الصغير على الكبير ، والراكب على الماشي (المترجل) ، والماشي على الجالس ، والواحد على الجماعة ، وقالو ا : من حق الأخ على أخيه أنه إذا لقيه أن يسلم عليه، وأن يفسح له في المجالس ، بل حذر الإسلام تحذيرًا كبيرًا من الإعراض والتجاهل عن إلقاء السلام أو رده ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) " لَا يَحِلُّ

لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ " (صحيح البخاري) .

وقد سمى رب العزة نفسه في أسمائه العلا التسعة والتسعين السلام ، فقال سبحانه : " هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ " (الحشر :٢٣) ، والجنة إنما هي دار السلام قال تعالى : " لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " (الأنعام : ١٢٧) ، وتحية المؤمنين فيها السلام ، يقول الحق سبحانه : "وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (يونس : ١٠) ، وتحية المؤمنين عند لقاء ربهم السلام ، يقول سبحانه : " تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً " (الأحزاب : ٤٤) ، " وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " (الرعد : ٢٤) .

إذن فإفشاء السلام قيمة ، ومنهج حياة ، وسبيل نجاة ، على أن يكون سلامًا حقيقيًا لا شكليًّا ، وأن يستحضر من يلقي السلام قيم السلام ، وأن يكون الإنسان سلامًا حتى مع الحيوان والجماد ومع الكون كله ، فلا يقطع شجرًا ، ولا يحرق زرعًا ، ولا يخرب عامرًا ، ولا يهدم بنيانًا ، ولا يؤذي طائرًا أو بهيمة أو إنسانًا ، بل يكون سلما وسلامًا مع نفسه ومع الكون كله ، حيث يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " (التوبة : ٢٠٨) .

* * *

اللوائح والقوانين وحتمية المراجعة

إذا كنا نتحدث عن تجديد الخطاب الديني وتصويبه بما يتوافق مع روح العصر ومستجداته من خلال التأكيد على أنه حيث تكون المصلحة فثمة شرع الله (عز وجل) ، وأن الشرائع قائمة على مراعاة مصالح البلاد والعباد ، وأن الفتوى قد تتغير بتغيير الزمان والمكان وحال المستفتي ، وأن ما كان راجحًا في عصر من العصور قد يصبح مرجوحًا في عصر آخر إذا تغيرت ملابسات ومقتضيات الفتوى فيه .

وإذا كنا نتحدث دائمًا عن مرونة الشريعة الإسلامية واتساعها وحيويتها ، ونبذها لكل ألوان الجمود والتحجر ، وحثها على ضرورة إعمال العقل ، وعدم الجمود عند ظواهر النصوص ، فإن الأمر يكون أكثر إلحاحًا فيما يتصل بإعادة النظر في بعض القوانين واللوائح والنظم وعدم النظر إليها على أنها قرآن كريم أو نص مقدس لا يجوز المساس به أو الاقتراب منه أو النظر في تعديله ، بل العكس من ذلك كله

فإن ما وضعه البشر لأنفسهم فيما ينظم أمور حياتهم بما يناسب طبيعة عصرهم وبيئتهم ومجتمعهم يقتضي إعادة النظر مراجعة وتعديلا وتقويما كلما اقتضت الضرورة أو تغيرت الظروف والملابسات.

وإذا كنا نؤكد أن الأديان كل الأديان قد فصَّلت وبيَّنت للناس أمور العقائد والعبادات ووضعت الأسس والقواعد الكلية والعامة لما يضبط معاملاتهم وتركت في هذا الجانب الأخير المتصل بشئون حياتهم متسعًا كبيرًا للاجتهاد ومراعاة طبيعة العصر ومستجداته ، حيث قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في قصة تأبير النخل : " أنتم أعلم بأمور دنياكم " ، فإن ذلك يستدعى ومن باب أولى مراجعة مستمرة للوائح والقوانين التي أدت دورها في وقتها وزمانها وظروفها وملابساتها ، وناسبت عصورًا وعقودًا وبيئات ومجتمعات وفلسفات وأيدلوجيات نشأت في ظروف معينة ، وبحيث لا تتغير الظروف والملابسات والأيدلوجيات والفلسفات وسائر

المعطيات والمقومات وتبقى القوانين التي قد يكون بعضها عائقًا في سبيل التقدم والرقي ، ولا سيما في مجالات الاستثمارات والاختراع والابتكار وتنظيم الحقوق والواجبات والعلاقات باقية كما هي كاتمة للأنفاس مانعة لاستنشاق النسيم والهواء الطلق.

وإذا كانت الشرائع السماوية قائمة على تقديم العام على الخاص ومصلحة الدول على مصالح الأفراد والجماعات والقبائل في توازن بين حقوق المواطن وحقوق الدولة ، فإن من الواجب على جميع أبناء الوطن أن يسعوا لما يحقق المصلحة العامة أولا ، وإن من الخطأ الفادح القاتل أن تتمحور كل فئة أو طائفة من المجتمع حول ذاتها بغض النظر عن المصلحة العامة للمجتمع .

وإن مجتمعنا ووطننا لفي حاجة ملحة أن نعمل جميعًا له، وأن نراعي طبيعة المرحلة والتحديات التي نمر بها أو تحيط هي بنا ، وأن نترفع عن المصالح الفئوية والخاصة التي تأتي

على حساب الوطن أو المصلحة العامة ، وأن نؤْثر بحق وصدق المصلحة العامة على الخاصة ، لأن إعلاء المصلحة الخاصة على العامة وشيوع هذه النزعة وتضخيم هذا الشعور قد يغرق السفينة كلها ، وساعتها لا منجاة لأحد ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) : " وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (الأنفال : ٢٥) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا " (رواه البخاري) .

وعليه فإن الأمر لا يقف ولا ينبغي أن يقف عند حدود القوانين العامة ولا حتى الخاصة ، وإنما يتجاوز ذلك كله

إلى ما هو أبعد وأخطر وهو بعض اللوائح الداخلية التي يحتاج بعضها إلى مراجعة سريعة لا تحتمل التأخير أو التأجيل في عالم متسارع شديد التسارع ، وعلى أن يتم ذلك بتجرد شديد وشفافية كاملة.

* * *

نسف البيروقراطية

لا شك أن النظام البيروقراطي الذي تراكم عبر عشرات السنين يحتاج إلى طوفان من الهمّة والشجاعة والتضافر المجتمعي للقضاء على كل اللوائح والنظم البيروقراطية والأداء البيروقراطي في آن واحد ، وإلى دورات تدريبية تنتزع أو تنتشل الدورة المكتبية والمستندية والقوى البشرية من براثن هذه البيروقراطية .

ومما لا شك فيه أن النظام البيروقراطي يولّد مثالب لا حصر لها ، منها بحث بعض الناس عن سائر طرق الرشوة والمحسوبية لتحقيق مطالبهم وانتزاعها من براثن المماطلة والتأخير المتعمد ، حتى تحولت البيروقراطية لدى البعض من مجرد هروب من المسئولية إلى وسيلة للابتزاز ، مما يحتاج إلى العمل على عدة محاور :

١- سرعة قيام كل مسئول في حدود اختصاصه

بمراجعة جميع اللوائح المنظمة لإطار العمل في المؤسسة المنوط به إدارتها بما يتسق مع نظم الإدارة الحديثة ، وينسف الجوانب البيروقراطية فيها ، ويخلصها منها ، بما يحقق الإنجاز والشفافية معًا.

٢- سن القوانين اللازمة فيما يحتاج إلى قوانين جديدة لتحقيق هدفي الإنجاز والشفافية معًا .

٣- عمل الدورات التدريبية اللازمة للكوادر البشرية على أن تكون دورات جادة ، وباختبارات كاشفة عن مستوى التحول ، وميزات دافعة إلى سرعة التغيير بما يحقق المصلحة الوطنية ، لأن الفاقد الاقتصادي الذي ينتج عن البيروقراطية ليس يسيرًا في ظل ظرف نحتاج فيه إلى الاستغلال الأمثل لجميع الإمكانات المتاحة.

٤- الدفع بمزيد من الشباب والدماء الجديدة التي

لم تُربَّ على هذه النظم البيروقراطية في جميع مفاصل العمل الإداري بكل مستوياته ، لأنهم كما يقولون : إذا أردت أن تحدث نقلة نوعية في إدارة أمر ما فإنك لا تستطيع أن تحدثها بنفس أدواتك القديمة وبذات أسلوب عملها ، بل لابد أن تكسر الأنماط الجامدة بتدريب أو إعادة تأهيل أو تحفيز أو الدفع بدماء ووجوه جديدة متحمسة ، أو بذلك كله معًا .

٥- استحداث نظم متابعة وتقييم وتقويم ومحاسبة وتحفيز غير نمطية .

٦- التأكيد المستمر على هذا التحول العصري في نظم الإدارة بحيث يصبح ثقافة مجتمعية ، ونمطًا فكريًا ، وأسلوبًا جديدًا في الإدارة الحديثة والعصرية .

٧- إعادة الهيكلة الوظيفية بوضع كل شخص في

المكان الذي يناسبه على أساس الكفاءة ووضعها فوق أي اعتبار آخر ، مع التأكيد على أنها أمانة في عنق كل مسئول وعلى كل المستويات ، فمن ولَّى رجلا على جماعة وفيهم أكفأ وأصلح منه فقد خان الله ورسوله ، وخان وطنه ، وخان مسئولية الأمانة التي حمله الله عز وجل إياها ، مع التأكيد على أن تحقيق العدل في الثواب والعقاب واختيار الأكفأ دون سواه هو من أهم شروط وضمانات الاستقرار الوظيفي والمجتمعي وتحقيق الإنجاز.

التأكيد على أن تعطيل مصالح الناس مما يتناقض مع الدين والوطنية والإنسانية ، وأن العمل على قضاء حوائج الناس هو من صميم الدين والخلق والوطنية والإنسانية ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا اختصهم بقضاء

حوائج النَّاسِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وجاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن عباس يقصده في قضاء حاجة وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) معتكفًا بمسجد سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقطع اعتكافه وخرج لقضاء حاجة الرجل ، وقال : سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب يقول : "من مشى في حاجة أخيه حتى يقضيها كان خيرًا له من أن يعتكف في مسجدي هذا عشر سنين" .

* * *

تغييب العقل

العقل واحد من أهم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، بل إنه النعمة التي تميزه عن غيره من المخلوقات، وهو مناط الحساب والتكليف، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد تكرر قوله تعالى : "أَفَلَا يَعْقِلُون"، " أَفَلَا تَعْقِلُونَ"، في مواضع متعددة من كتابه العزيز، ويقول سبحانه : " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى"، ولما نزل قوله تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "، قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها" .

ويستحث القرآن الكريم عقولنا للتأمل والتدبر في

مواضع عديدة، منها قوله تعالى : "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ "، ويقول سبحانه : "أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا "، ويقول سبحانه : "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"، ويقول سبحانه : " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ

بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " .

وكم استحث النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه على التفكير، في مثل قوله (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ قَالَ : فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ"، ويقول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه : "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ ، قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ،

فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا".

وفي ذلك كله ما يؤكد عناية الإسلام بالعقل واحترامه له وتقديره لقيمته، وتوجيهه للعناية به والحفاظ عليه، وهو ما يجب أن نتنبه له، فنعمل عقولنا لا نعطلها، وألا نقع أو نخضع لمحاولات التنويم المغناطيسي أو تغييب عقولنا عن واقع الحياة والتأمل فيها، والعمل على حسن قيادتها، ولنحرر مفهومًا واحدًا من المفاهيم التي تحترم العقل وهو مفهوم

التوكل الصحيح لا التواكل المميت، فحسن التوكل يعني حسن الأخذ بالأسباب، من منطلق قوله تعالى : "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ"، علمًا بأن القوة هنا أعم من أن تكون عسكرية، حيث استخدم النص القرآني كلمة "قوة" منكرة لإفادة العموم والشمول، لتشكيل القوة العسكرية والاقتصادية والثقافية والفكرية والجسدية، وكل ما يحقق هذه القوة أو يؤدي إليها أو يسهم في تحقيقها .

فحسن التوكل يعني أن نأخذ بأقصى الأسباب ثم نفوض أمر النتائج لله (عز وجل)، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا"، قال أهل العلم إن الطير تغدو وتروح، وتغدو من أوكارها وأعشاشها مبكرة للبحث عن رزقها، ثم تعود خماصًا شبعى، فهي تغدو وتروح، ولا تمكث في أعشاشها وتسأل الله أن يبعث برزقها إليها في

مكانها دون أن تأخذ بالأسباب، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : "لا يَقعُدنّ أحدُكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقني، وقد علِمَ أن السماءَ لا تُمطِرُ ذهبًا ولا فضّة" .

* * *

المال الحرام سم قاتل

لا يمكن لعاقل أن يجادل في أن المال الحرام سم قاتل ، وأنه مدمر لصاحبه في الدنيا والآخرة ، وأنه نار تحرق جوف من يأكله ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى :" إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ".

وقد نهى الإسلام عن أكل الحرام بكل صوره وأشكاله نهيًا قاطعًا لا لبس فيه ، فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا " .

فأكل الحرام قتل للنفس وإهلاك وتدمير لها في الدنيا والآخرة ، فهو في الدنيا وبال على صاحبه في صحته ، في أولاده ، في عرضه ، في أمواله ، " وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى " .

وآكل الحرام لا تستجاب له دعوة ، فقد ذكر نبينا (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَكْسَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ " .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أن سيدنا سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ

عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ" ، لذا كان بعض الصالحين يتركون بعض الحلال مخافة أن تكون فيه شبهة حرام .

وقد تخاصم رجلان أحدهما من كندة والآخر من حضرموت على أرض ، فقال أحدهما : يا رسول الله تحت يدي ، وقال الآخر : هي لي ورثتها كابرًا عن كابر ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : "هل معك من بينة ؟" ، فقال: لا ، فقال : ليس لك إلا يمينه ، فلما أقبل الرجل ليحلف ، قال الآخر : والله يا رسول الله إن الرجل لفاجر لا يبالي على أي شيء حلف ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " أما والله لئن حلف على شيء ليأكله ظلما ليلقين الله عز وجل وهو عنه معرض" ، ونختار من صور المال الحرام ثلاث صور كنماذج :

الأولى : هي أكل المال الحرام الناتج عن الغش سواء أكان غشًّا في الكم أم في النوع ، ففي الكم بتطفيف الكيل أو الميزان أو المقياس ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ " ، أم كان غشًّا في النوع سواء أكان غذاءً أم دواءً أم أدواتٍ أم آلاتٍ إنتاجية أو خدمية ، فمن يبيع طعامًا ضارًّا بالصحة أو لحمًا غير حلال على أنه لحم حلال ، أو يبيع شيئًا فاسدًا على أنه صحيح فهو غاشٌّ لنفسه وللمجتمع ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : "من غشنا فليس منا" وفي رواية "من غش فليس منا" بحذف المفعول ليشمل كل غش وغشاش ، فعلى الإنسان أن يراقب الله (عز وجل) ، وليعلم أنه إن أفلت من عقاب الناس في الدنيا فلن

يفلت من عقاب الله (عز وجل) لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهو ما فهمته ابنة بائعة اللبن في عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما قالت لها أمها : قومي فاخلطي اللبن بالماء ، فقالت لها يا أماه : ألم ينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن مزج اللبن بالماء ، فقالت لها: إن كان عمر قد نام فإن الله (عز وجل) لا يغفل ولا ينام : حيث يقول الحق سبحانه " اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ " ، ويقول سبحانه على لسان لقمان عليه السلام " يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ".

الصورة الثانية : الرشوة والاختلاس وكل ألوان المحاباة والمجاملة وما يدخل في باب إعطاء من لا يملك لمن لا

يستحق ، فالفساد المالي لا يقف عند حدود قبول الرشوة أو الاختلاس، إنما يشمل استغلال النفوذ وتربيح الغير أو تنفيعه أو إفادته بأي لون من ألوان النفع المادي أو المعنوي ، فكل ما يحدث من ذلك هو عين الفساد ، فإن استفاد القائم على أمر من وراء عمله هذا أي استفادة مادية أو معنوية تترجم إلى مادية فهو آكل للسحت ، وقد لعن نبينا (صلى الله عليه وسلم) الراشي والمرتشي والرائش أي الوسيط الذي يسعى بينهما .

الصورة الثالثة : أخذ الأجر على عمل لم يقم به الإنسان ولم يفِ بحقه ولم يتقنه ولم يعطه وقته ، فبعض الناس قد يظن أن احتياله على الغياب من عمله أو هروبه منه أو عدم الوفاء بحقه أمرًا سهلاً ، وهنا نؤكد أن العقد شريعة المتعاقدين ، فكما أن صاحب العمل إذا أكل حق العامل فإنه يدخل في دائرة غضب الله (عز وجل) ، وسخطه ، حيث

يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " ثلاثةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ: رجُلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باعَ حُرّاً فأكَلَ ثمَنَهُ، ورجُلٌ استأْجَرَ أجيراً فاستوفى منهُ ولم يُعْطِهِ أجْرَهُ" ، ففي المقابل إذا استحل العامل الأجر ولم يؤد العمل كان ممن لا يكلمهم الله ولا ينظر الله (عز وجل) إليهم ولا يزكيهم يوم القيامة ، فالحق مقابل الواجب ، وإلا لاختل نظام الحياة وانفرط عقدها .

* * *

صناعــة القـــادة

البرنامج الرئاسي للشباب ليس مجرد برنامج تأهيلي أو تدريبي أو تثقيفي أو سياسي ، إنما هو برنامج متكامل لإعادة بناء الشخصية المصرية المتميزة علمًا وفكرًا وثقافة ، مع تهيئتها للمشاركة الإيجابية في بناء الوطن ، وهو برنامج معد بعناية شديدة لصناعة القادة.

وعند إعداد قيادات المستقبل لا بد من توافر صفات ومقومات ، يأتي في مقدمتها القوة ، والأمانة ، والوطنية ، والثقافة ، والقدرة على التحمل وعلى اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة وفعل ما يجب أن يفعل في الوقت الذي يجب أن يفعل فيه دون توانٍ أو تأخر أو طيش أو تهور ، حيث يقول الشاعر العماني أبو مسلم الرواحي :

لا تعجل الشيء أمام وقته

ولا تفته حيث آن بالونى

وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى أهم مقومين من مقومات إعداد القادة واختيارهم ، وهما القوة والأمانة ، أو الحفظ والعلم ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى على لسان ابنة شعيب عليه السلام في شأن سيدنا موسى (عليه السلام) " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" (القصص : ٢٦) ، ويقول سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) في مخاطبة عزيز مصر : "اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (يوسف : ٥٥) ، فالأمانة وحدها لا تكفي والكفاءة بلا أمانة لا تجدي .

ومن خلال هاتين الصفتين لا بد من توافر صفات ومقومات تفصيلية وفق طبيعة المهمة التي توكل إلى قائد أو مسئول ودرجة المسئولية وحساسية المهام المنوطة بها ، ومن أهمها : التفاني والإخلاص في العمل ، والقدرة على تحمل الضغوط ، والتعامل مع الأزمات وحسن معالجتها ، والرؤية

السياسية ، والإلمام بمتطلبات الأمن القومي ، والقدرة على العمل بروح الجماعة والفريق ، والتنسيق مع سائر الجهات والمؤسسات المتناظرة ، والتميز في مستوى الوعي والثقافة العامة ، فثمة ما يعرف في علم الإدارة بعموم الفهم وخصوصية التكاليف ، ذلك بأن يكون الموظف أو المسئول أو القائد على مستوى عال من الفهم العام لكل جوانب عمله والإلمام بأطرافه ومشكلاته وتحدياته وتداخلاته وتشابكاته مع الجهات الأخرى ، أو الزملاء الآخرين ، وعلى أعلى قدر ممكن من الإدراك الذي قد يصل إلى درجة التفرد وعلى أقل تقدير مستوى التميز في المهمة الموكلة إليه ، وأن يستحضر دائمًا حديث سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (رواه

البخاري) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : "مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ مَغْلُولًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (مسند أحمد) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم): "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" (رواه البخاري).

* * *

الانحياز الإيجابي

مفهوم الانحياز قد يذهب فيه العقل أول ما يذهب إلى المعنى السلبي للانحياز الذي قد يفهم على أنه لون من التبعية أو المجاملة أو المداراة أو حتى المواءمة ، وعدم الانحياز قد يفسر عند البعض بالاستقلال لا التبعية ، بل إن البعض قد يفهم عدم الانحياز على أنه نفض اليد نفضًا كاملا من أي حديث إيجابي عمن يكون بيده مقاليد الأمور على أي مستوى إداري أو تنفيذي أو سلطوي ، بل قد يفهم البعض أن عدم الانحياز يعني فقط إبراز الجوانب السلبية وأن النقد لديه قد ينحسر أو ينحصر في باب إبراز المثالب .

على أن النقد الحقيقي المنصف المتزن لدى المتخصصين المدققين يعني التمييز بين الجيد والرديء ، وإن الإنصاف في النقد يعني أن نقول لمن أحسن أحسنت ونشد على يديه ونسانده ، ولمن أساء أو قصر أسأت أو

قصرت، ونأخذ على يديه .

وقد تتجاوز مهمة الناقد ذلك إلى بيان طريق الرشاد والسبيل الأمثل لمعالجة وحل المشكلات وقد تتناول الأمر بالتحليل والتفسير والرصد قصد مساعدة متخذ القرار على اتخاذ القرار المناسب ، وتقديم رؤى متعددة تجعل زاوية النظر والرؤية لدى متخذ القرار أوسع وأصوب وأدق .

ويمكن أن نقسم الانحياز قسمين : الانحياز السلبي وهو ذلك الانحياز الأعمى الذي يعني التبعية المقيتة ، وهو ذلك الانحياز الذي تحكمه المنفعة الشخصية التي تضرب بالمصلحة العامة عرض الحائط، وهو ذلك الانحياز للجماعات الهدامة الإرهابية والمتشددة ، التي تكون طاعة الأمير أو المرشد فيها طاعة عمياء ، أو تلك التي تصل بالبشر العاديين لدى بعض الأيدولوجيات إلى درجة عصمة الأنبياء أو ما فوقها ، بحيث إن أحدهم قد يجادلك في نص قرآني أو نبوي صحيح ثابت ولا يسمح لك أن تناقشه أو تحاوره

حول كلام شيخه أو أميره أو مرشده ، الانحياز السلبي هو الذي تحكمه مجرد العاطفة دون إعمال للعقل أو فهم للموقف أو تقدير للمصلحة ، وهو الذي يكون الحب والبغض فيه شخصيًا لا مهنيًا ولا موضوعيًا .

أما الانحياز الإيجابي فهو ذلك الانحياز المنهجي المهني الموضوعي ، هو ذلك الانحياز الوطني الذي يصب في مصلحة الوطن ويعمل لها ويدور معها حيث دارت ، هو الانحياز للوطن وبكل قوة وحسم وبلا أدنى تردد أو توجس أو تخوف في مواجهة المتربصين ولا سيما في أوقات الشدائد والمحن وشدة التحديات ، وهو ذلك الانحياز الذي يجب أن نميل إليه وأن نفخر به ونجعله وسامًا على صدورنا نشعر معه بالعزة والفخر ، الانحياز المطلق للحق حيث كان وكيف دار ، ولمصلحة الوطن ، وكل من يعمل لصالح هذا الوطن .

الانحياز الإيجابي هو الانحياز إلى قوى ومؤسسات

الوسطية والاعتدال والوطنية في مواجهة الفكر المتطرف والجماعات المتطرفة ودعاة التطرف ، وكشف طبيعتهم وتفنيد أفكارهم وعدم تمكينهم من مقاليد الأمور السياسية أو الإدارية أو الفكرية أو الثقافية أو الدعوية .

وقد أكدت في لقاءاتي المتعددة بنخبة من خيرة شباب مصر فهمًا ووعيًا ووطنية هم شباب البرنامج الرئاسي في مؤتمرهم الأول أننا جميعًا ننحاز إلى الوطن ومصلحة الوطن ، وجزء من انحيازنا لهذا الوطن هو انحيازنا للتمكين للشباب الواعي وتأهيلهم وتدريبهم تدريبًا عاليًا يجعل منهم شركاء في النهوض بالوطن وقادة في الحاضر والمستقبل فأملنا في الله عز وجل ثم فيهم كبير ، وأملنا في مستقبل أفضل لمصر في ظل قيادتها السياسية الحكيمة وعلى رأسها سيادة الرئيس عبد الفتاح السيسي بحكمته ووطنيته أمل كبير يدعو إلى التفاؤل وإلى مزيد من الانحياز للوطن.

* * *

الاتزان السياسي

الاتزان مطلوب في كل شيء ، فحب التناهي شطط خير الأمور الوسط ، وقد قيل لسيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : هل تجد هذا المعنى في كتاب الله (عز وجل) ، فقال : نعم في أربعة مواضع : قوله تعالى : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا "، وقوله سبحانه : "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا "، وقوله تعالى : " وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا "، وقوله سبحانه : " قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ" .

وكانت العرب تقول: أحبب حبيبك هونًا مَّا ، عسى أن يكون بغيضك يومًا مَّا ، وأبغض بغيضك هونًا مَّا ، عسى أن يكون

حبيبك يومًا مَّا ، ويقولون : ليس في السياسة عدوّ دائم ولا صديق دائم ، فما أسرع تقلباتها وأكثر تحولاتها .

وقد قالوا أيضًا : لا ينبغي أن تضع البيض كله في سلة واحدة ، فهي مخاطرة بذهابه كله ، فقد تكون مكاسب الاستقطاب الحاد عاجلة أو سريعة لكنها قد تُشكل على المدى البعيد خسائر فادحة ، على أن قضايا الاستقلال أو التبعية تتعلق بمدى الإرادة والقدرات والملكات التي تهيئ صاحبها للاستقلال أو تدفعه إلى التبعية .

والتابع لا قرار له ، وإن تظاهر بأنه صاحب قرار جريء أو حر ، فقراره من قرار متبوعه ، والحر المستقل المتزن إنما يقدر لقدمه قبل الخطو موضعها ، ويحسب لكل قرار حسابه ، وهذا النوع من الأفراد والدول يحسب له ألف حساب حتى وإن تعرض للضغوط ومحاولات كسر الإرادة ، وليس القرار

الحقيقي لمن يضغط أكثر إنما هو لمن يتحمل أكثر حتى يحول ولو على المدى البعيد الضغط إلى ضغط مضاد ، وتتكون لديه مناعة تجاه أي ضغوط ، فالعالم لا يحترم إلا الأقوياء وأصحاب القرار والإرادات القوية الصلبة ، على أن ثمة فرقًا واضحًا بين القرار الحُرّ المستقل وبين التهور واتخاذ خطوات أو إجراءات غير مدروسة تنتج عن انفعالات طارئة أشبه ما تكون بردود الأفعال غير المتعقلة التي قد تأخذ صاحبها إلى طريق الهاوية أو اللارجعة ، أما الأشخاص المتزنون نفسيًّا وفكريًّا المؤسسيون الذين يُعملون عقولهم في كل ما يعرض عليها قبل اتخاذ القرارات ، فغالبًا ما يكونون في مأمن من الانزلاق والتورط فيما يكاد لهم أو يُعمل على جرهم إليه أو توريطهم فيه .

الاتزان السياسي يعني التركيز على البناء لا الهدم ، على

العمل لا الكلام ، على أن يكون لك مشروع تتبناه وتحسن تسويقه ، لا أن تبني كل نجاحاتك على هدم الآخرين .

الاتزان السياسي يعني أن ندرك الفرق بين الواقع والمثال ، بين التنظير والتطبيق ، بين ما يمكن أن يكون وما هو كائن .

الاتزان السياسي يعني أن تعمل على بناء نظرية سياسية قابلة للتطبيق والتحقيق على أرض الواقع ، تنسب إليك لا إلى غيرك ، بحيث تكون علامة بارزة لك ، ويكون لها من الخصائص ما يميزك عن سواك ، لا أن تسطو على مناهج الآخرين سطوًا تلفق من هذا وذاك ما تزعم أنه منهج جديد.

المنهج الحقيقي يقوم على خطة مدروسة يتم تطبيقها على أرض الواقع ، على أن تكون مرنة ، قابلة للتعامل مع المستحدثات والمستجدات ، بحيث يؤدي نجاحها إلى

تحقيق الأهداف المنشودة ، ويشكل ملامح المنهج التطبيقي ومعالم المدرسة السياسية التي يمكن أن تترك بصمة في دنيا الناس وتحفر اسم صاحبها أو أصحابها في ذاكرة التاريخ ، ولا يمكن أن يتم ذلك لغير المتزنين فكريًّا ونفسيًّا وسياسيًّا.

الاتزان السياسي يعني أن تكون لديك القدرة على احتمال الضغوط وامتصاص الصدمات وتجاوز الأزمات، وألا تذهب إلى أقصى الطرف مفرطًا أو مفرّطًا أو منساقًا ، وقد قالوا لكل شيء طرفان ووسط ، فإن أنت أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإن أنت أمسكت بالوسط استقام لك الطرفان ، الحالة الوحيدة التي يمكن أن تمسك فيها بطرف وبقوة هي حيث تكون مصلحة الوطن في طرف ما ويكون الطرف الآخر حملا أو عبئًا عليه ، فهنا وبلا أدنى تردد سنكون في كفة الوطن وفي مواجهة أعدائه دون إمساك للعصا من المنتصف ، فالاتزان المطلوب هو الاتزان المرن

الذي يخدم مصالح الوطن ويدور معها حيث دارت ويكون في خدمتها أينما وكيفما ومتى تعينت .

* * *

الجمال الحقيقي والصداق الحقيقي

الجمال الحقيقي هو جمال الجوهر ، وجمال النفس ، وجمال الروح ، وجمال الخلق ، وجمال العقل ، فإذا انضم إلى هذا الجمال جمال المظهر ، فما أجمل الإنسان إذا سرك مظهره ومخبره معا ، غير أن جمال النفس ومظهرها وسموها هو المقدم وهو الأعلى قيمة والأبعد أثرًا وعليه مدار التفاضل الحقيقي ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" ، ويقول أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي في مقال له تحت عنوان "في فلسفة المهر" : إن خير النساء من كانت على جمال وجهها في أخلاق كجمال وجهها وكان عقلها جمالاً ثالثًا ، فهذه إن أصابت الرجل الكفء يسرت عليه، ثم يسرت، ثم يسرت؛ إذ تعتبر نفسها إنساناً يريد إنساناً، لا متاعاً يطلب شارياً، وهذه لا يكون

رخص القيمة في مهرها، إلا دليلاً على ارتفاع القيمة في عقلها ودينها.

ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودِينَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ" ، فقد اشترط النبي (صلى الله عليه وسلم) الدين على أن يكون مرضيًّا لا أي الدين كان ، والخلق على أن يكون مرضيًا لا أي الخلق كان ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ " .

والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا الدين والخلق أولا ؟ وقبل جمال الشكل والمظهر ، والإجابة أن الجوهر قبل المظهر ،وأن الجمال أمر نسبي وقابل للتغيير أو الزوال ، أما الدين والخلق فهما المعدن الأصيل الذي لا يصدأ أبدًا.

فماذا لو كان الاختيار على أساس الجمال فحسب ، والجمال أمر نسبي وما تراه جميلاً اليوم ربما لا تراه جميلاً

غدًا ، وماذا لو رأى الشاب بعد ذلك امرأة أجمل أو رأت المرأة شابًا أجمل منه ؟ بل ماذا لو عرض لهذا الجمال ما يذهبه أو يشوهه ؛ كأن تعرضت الزوجة أو الزوج أو الفتى الوسيم لحادث أو لمرض أذهب جماله وبهاءه فكيف تكون الحياة آنذاك ؟ وهي قد بنيت أصلا على الجمال الظاهري لا غير.

أما الدين والخلق فهما المعدن النفيس الذي يتجدد بتجدد الأيام ، فحتى لو ذهب المال أو ذهب الجمال فإنما يبقى الدين والخلق ، فصاحب الدين والخلق إن أحب زوجه أكرمها وإن بغضها لم يبخسها حقها ، حتى صداق المرأة الحقيقي فهو ليس ما يقدم إليها من مال أو ذهب أو صداق إنما هو ما تجده من حسن المعاملة ، يقول الرافعي : الصداق الحقيقي ليس ذلك المال الذي يُدفع إلى المرأة وهي في بيت أبيها قبل أن تذهب إلى بيت زوجها ، صداقها الحقيقي معاملتها التي تجدها في بيت زوجها بعد

أن تُحمل إلى داره ؛ مهرها معاملتها ، تأخذ منه يومًا فيومًا ، فلا تزال بذلك عروسًا على نفس زوجها ما دامت الحياة بينهما.

أما ذلك الصداق من الذهب والفضة ، فهو صداق العروس الداخلة على الجسم لا على النفس ؛ أفلا تراه كالجسم يهلك ويبلى ؟ أفلا ترى هذه الغالية – إن لم تجد النفس في رَجُلها – قد تكون عروس اليوم ومطلقة الغد؟! ، وما الصداق في قليله وكثيره إلا كالإيماء إلى الرجولة وقدرتها، فهو إيماء، ولكن الرجل قبْل .

إن كل امرئ يستطيع أن يحمل سيفًا ، والسيف إيماء إلى القوة ، غير أنه ليس كل ذوي السيوف سواء ، وقد يحمل الجبان في كل يد سيفًا ، ويملك في داره مائة سيف ، فهو إيماء ، ولكن البطل قبْلُ ، ولكن البطل قبْلُ .

إذن فالقضية ليست في الشكل فحسب إنما هي في المعنى والمضمون ، وليس الجمال الحقيقي هو جمال

المظهر ، إنما هو جمال الجوهر ، وليس الصداق الحقيقي هو المال والذهب إنما هو في الدين والخلق وحسن المعاملة.

* * *

دولة الإخوان الاقتصادية

إذا كانت جماعة الإخوان الإرهابية قد سقطت سقوطًا ذريعًا مدويًا سياسيًّا ومجتمعيًّا وأفلست فكريًّا فإن هناك جانبًا هامًّا تستميت قيادات الجماعة وعناصرها في الحفاظ عليه ، وهو البناء الاقتصادي والمالي للجماعة ، وهو ما يمكن أن يطلق عليه "دولة الإخوان الاقتصادية" ، وهي التي لا تقل خطرًا عن الجانب السياسي ، لأنها هي الرابط الذي يربط أعضاء وعناصر الجماعة الإرهابية برباط نفعي وثيق من خلال شراء أصحاب النفوس الضعيفة ، والتركيز على المهمشين أو المحرومين أو الأكثر احتياجًا وحتى تجاوزهم إلى غيرهم من طالبي وراغبي الثراء بأي وسيلة حتى لو كانت غير مشروعة أو مدمرة ، إضافة إلى خطورة توظيف

هذا المال في العمليات الإرهابية.

وقد قامت جماعة الإخوان بعمليات سطو واسعة النطاق على كثير من الجمعيات وتوظيفها لخدمة أغراضها ، مع ما تتلقاه من أموال تحت مسمى التبرعات وتوظيفها لصالح الجماعة .

ولهم منظومة اقتصادية أشبه ما تكون بالفكر الصهيوني، بحيث إذا تاجر أحدهم في سلعة حيوية ألزم أعضاء الجماعة بالشراء منه ، فأحدهم مثلاً في تجارة الحديد والإسمنت ، والآخر في تجارة الأخشاب ، وثالث في الأدوات الصحية ، ورابع في الملابس ، وخامس في الأدوات المكتبية والهدايا ، فهم لا يؤمنون بالتكامل المجتمعي الشامل ، إنما يقسمون المجتمع إلى قسمين ، الأول : وهو الأولى بالرعاية والعناية والاهتمام وهم عناصر

الجماعة ، والآخر : عامة الناس ، وهم في نظرهم ما بين فاسق ، أو كافر ، أو منافق أو عميل أو رقيق الإيمان ، أو غير ملتزم ، أو غير تابع لهم أو ناقص الأهلية الشرعية لأنهم يزعمون أنهم جماعة الله المختارة وأنهم الفرقة الناجية وغيرهم في الإحدى وسبعين فرقة الأخرى.

وعلى الجملة فإن غير المنتمين للجماعة في نظرهم وتصنيفهم أناس من الدرجة الثانية، إذ يصنفون كل من لم ينضم للجماعة على أنه إما ناقص الدين أو فاقده ، ويربون عناصرهم على ذلك.

وقد عمدوا إلى مجالات حيوية مثل شركات الصرافة، والخدمات الطبية ، والمدارس الخاصة ، مع إنشاء مجموعة من الشركات باسم بعض قيادات الجماعة لتكون غطاء لتلقي الأموال الخارجية أو استثمارها أو غسل أموال التبرعات ،

حيث كانوا يجمعون أموالاً تحت مسمى المساعدات لصالح القدس أو الشيشان أو البوسنة والهرسك أو الصومال، ثم توظف لصالح الجماعة وعناصرها .

ولا يسعني في مثل هذا المقال أن أخوض في تفاصيل محددة ، إنما كان يعنيني أن ألفت النظر إلى مخاطر دولة الإخوان الإرهابية الاقتصادية التي صارت تستخدم في تمويل العمليات الإرهابية ودعم العناصر المتطرفة ، مما يتطلب النظر وبجدية والتعامل بحسم مع هذا المال المشبوه حتى لا يوظف في الإضرار بالمصلحة الوطنية ، أو أذى المواطنين أو الإساءة إلى صورة الإسلام والمسلمين ، وعلى الجملة فإن هذا الاقتصاد الموازي أو تلك الدولة الاقتصادية للإخوان تعد خطرًا على الأمن القومي ، بل على أمن وسلام الإنسانية ، لأن تلك الجماعة كالحرباء لا تعرف دينًا ولا وطنية ولا وفاء لأحد ، فصديق اليوم لديها عدوّ الغد ،

لا يربطها بأحد سوى ما تحققه من خلاله من مصالح عاجلة ، وإلا فله منها الويل والثبور وعظائم الأمور .

* * *

الخلايا النائمة والخطاب المزدوج

لا شك أننا في مواجهة الفكر المتطرف والجماعات المتطرفة في حاجة ماسة إلى تحليل الخطاب الإخواني في ضوء معرفة طبيعة هذه الجماعة الإرهابية ونظامها السري وأجهزتها السرية بداية من الجهاز السري الذي شكله حسن البنا إلى الميليشيات التي شكلها خيرت الشاطر ، إلى جانب العصابات التي شكلها مكتب الإرشاد في العقدين الأخيرين وبخاصة في عهد المعزول محمد مرسي .

ولا يستطيع أحد أن ينسى مظاهر استعراض القوة بداية بما عرف بمليشيات الأزهر ، مرورًا بحصار مدينة الإنتاج الإعلامي وتهديد الإعلاميين ، وحصار المحكمة الدستورية ، ومحاولات تعطيلها عن عملها ، مع ما عرف به تاريخ الجماعة من اغتيالات وتحالفات مشبوهة مع الجماعات الإرهابية ،

وصيرورتها جماعة للإيجار لمن يدفع ويمول ويستخدم.

ولا شك أن القيادات التنظيمية للجماعة قد احترفت الكذب والخداع ، والغاية لديهم تبرر الوسيلة أي وسيلة ، وصار لهم خطابان : أحدهما بالعربية لعناصرهم بالداخل وهو خطاب تحريض وتخريب يدعو إلى العنف وإلى الاغتيالات والقتل والفساد والإفساد والتخريب ، وخطاب باللغات الأجنبية موجه إلى الغرب يحمل المظلومية في انفصام مقيت للشخصية ، وازدواج غريب في طرق وآليات الخطاب ، وكأنهم لا يدركون أن عالم اليوم غير عالم الأمس، وأن هذا الخطاب المزدوج صار مكشوفًا مفضوحًا وفاضحًا لكذبهم وافترائهم ، إضافة إلى بيان متاجرتهم بالدين ، هذا الدين العظيم الذي يدعو إلى الصدق بل إلى تحري الصدق وإلى حسن المراقبة لله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ،

متناسين أو متجاهلين قول الله تعالى : " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ، وقوله تعالى : "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " ، وقوله تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ".

وأخطر من هؤلاء المخادعين المراوغين أذنابهم وتوابعهم من الخلايا النائمة ، التي لها خطابان وتصرفان أيضا ، خطاب وتصرف أمام العامة وفي العلن ، وآخر إذا خلوا

إلى شياطينهم ، بحيث يتخذون من الخطاب المعلن تمويهًا على تحركاتهم السرية المشبوهة من حيث إيواء عناصر الجماعة أو التستر عليها وبخاصة الخلايا النائمة منها ، والعمل على التمكين لهم ، انتظارًا لهذا اليوم الذي يحلمون به لتصدر المشهد مرة أخرى ، غير أن المجتمع وأجهزته الواعية أحرص وأذكى من أن يخدعوا بهذه التمويهات ، لأن المنافق يمكن أن يخدع بعض الناس بعض الوقت ولكنه لا يمكن أن يخدع كل الناس كل الوقت .

ولا يعدم الإخوان الإرهابيون أن يجدوا مبررًا لكل جرائمهم وأعمالهم الإرهابية ومخادعتهم للمجتمع ، فيقسمون خطابهم المنبثق من أحوالهم إلى خطابين مختلفين :

الأول : خطاب التمكن ، وهو الذي يصدر عنهم حال

تمكنهم من الحكم أو زمام الأمور ، وهو خطاب استعلائي إقصائي متعجرف ، لا يعرف الرحمة ولا السماحة ، ولا يعلي سوى مصلحة أفراده وعناصره وتابعيه ، وإلقاء بعض الفتات على مريديه ومحبيه وعملائه ومؤيديه .

أما الخطاب الثاني فهو خطاب الاستضعاف ، وهذا خطاب يقوم على الكذب والمداراة تحت عناوين أقرب ما تكون إلى التِّقية وربما إلى النفاق ، ويؤهلون ناشئتهم وشبابهم على تقبل هذا التلون وهذا الخطاب المزدوج بصورة شديدة الغرابة ، مما يجعلنا نؤكد أن تمكين عناصر هذه الجماعة من عقول الناشئة أو الشباب في أي مجال فكري أو دعوي أو ثقافي أو تربوي ، وبخاصة فيما يتصل بمجال التنشئة الدينية .

كل ذلك يتطلب أن ننسق جهودنا لكشف طبيعة هذه

الجماعة وخطابها المزدوج ، سواء على مستوى الداخل كل في مجاله وميدانه ، كما ينبغي التواصل مع منابر ومنصات الإعلام العالمية لبيان واقع هذه الجماعة الإرهابية وفضح كذبها وثقافتها وتملقها للغرب والعمل على استعدائه .

وإذا أردنا أن نقطع دابر هذا الفكر الإخواني بتنظيماته السرية يجب ألا نُخْدع بتمويهات هذه الخلايا النائمة ، وأن نكون متيقظين لحركاتهم وتصرفاتهم ، لأن التحديات التي تحيط بنا لا تحتمل المراوغة ، أو إمساك العصا من المنتصف ، أو التلون والخداع ، إذ يجب أن نقف وبقوة وحسم ووضوح في مواجهة الفكر الإرهابي سرًّا وعلنًا ظاهرًا وباطنًا ، وألا نخدع بمعسول الكلام وظاهره من الخلايا النائمة ، والخلايا الميتة ، والخلايا السرطانية ، والخلايا الفيروسية لهذه الجماعة الإرهابية وعناصرها المتطرفة .

مع تأكيدنا أن ازدواج الخطاب الإخواني هو تأكيد على طمس البصيرة ، ولا يعد أن يكون ضربًا من ضروب النفاق المجتمعي ، بل إنه ليتجاوزه إلى النفاق بمفهومه العام نظرًا لاحترافهم الكذب ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا ، اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" .

*   *   *

هدم الرموز وزعزعة الثوابت

هناك جماعات ضالة أعماها الحقد وسواد القلب وانعدام البصيرة عن رؤية النور أو القدرة على العيش فيه ، فلم تجد بدًّا من العمل على إطفائه ، وتحويل البسيطة إلى ظلام دامس ، ذلك أن هذه الجماعات إنما هي أشبه ما يكون بخفافيش الظلام ، يراوغك أحدهم مراوغة الثعلب ويماسحك مماسحة الثعبان ، ويلدغ لدغ الحية الرقطاء ، لا يستطيع أحدهم أن يواجهك لضعف حجته ، وقصر قامته ، وما يحمله في داخله وفي أعماقه من خزي وعار ، إنما يأتيك من الخلف ليطعنك من حيث لا تشعر ، على نحو ما تقوم به هذه الجماعات الجبانة الخسيسة الخائنة العميلة من استهداف جبان لبعض رجال قواتنا المسلحة البواسل

وزملائهم من رجال الشرطة الساهرين جميعًا على أمن الوطن حدوده وربوعه ، واستهداف حراس العدالة والعلماء والمثقفين والمفكرين والإعلاميين الوطنيين على حد سواء .

وإلى جانب هذا الاستهداف الجبان هناك استهداف من نوع جديد ، وهو ما يعرف بحروب الجيل الرابع ، من بث وترويج الشائعات ، وتشويه الرموز ، والتشكيك في الإنجازات، والعمل على خلق الأزمات ، وفق خطط مدروسة وممنهجة وممولة وعلى شراء الذمم قبل المساحات الإلكترونية قائمة ، حيث لا وازع من دين ولا خلق ولا وطنية ولا إنسانية .

وهنا يجب العمل على محورين :

الأول : محور تحصين شبابنا ومجتمعنا من أن يقع فريسة لهؤلاء ، فعلينا أن نسابق الزمن في كشف طبيعة هذه الجماعات وعناصرها وكتائبها الإلكترونية حتى لا يخدع بهم

الشباب النقي ، وأن نكشف ما تتسم به هذه الجماعات من احتراف الكذب والافتراء على الله (عزّ وجلّ) وعلى الناس ، وأن نعمل على إشاعة قيمة الصدق وضرورة التحري والتثبت من الأخبار ، فليس كل ما يسمع ينقل أو يقال ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا ، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ " ، ويقول الحق سبحانه وتعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " ، ويقول (عزّ وجلّ) : "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ " ، فعلى الإنسان أن يتحرى الصدق ، ويتجنب الكذب ، ذلك أن الكذب يعد أهم علامات النفاق ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ،

وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا ، اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " ، ويقول نبينا : " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " ، ويقول الحق سبحانه في كتابه العزيز : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ " ، ويقول (عزّ وجلّ) : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً " .

أما المحور الثاني فهو محور الحسم مع الجماعة الإرهابية وعناصرها المفسدة المخربة القاتلة سواء أكان ما تمارسه قتلا حسيًا باستهداف الآمنين والرموز الوطنية من خلال عملياتها الإرهابية التفجيرية التي لا تنقطع ، أم كان القتل معنويًا من خلال استهداف الرموز والشخصيات الوطنية وبث الشائعات التي لا تنقطع حولها ، والتهوين من إنجازاتها لإحباطها ، والعمل على وضعها موضع السخرية والاستهزاء لتصغيرها والتقليل من شأنها وتجرئة العامة على النيل منها ، أم كان ذلك بالتشكيك في كل الإنجازات الهامة والمشروعات الكبرى لإحباط الناس وإصابتهم باليأس واللامبالاة ، أو تحريكهم تجاه التمرد والعصيان ، ولكن شعب مصر بحضارته

العريقة الضاربة في جذور التاريخ لأكثر من سبعة آلاف عام يدرك ما يخطط له الأعداء مستخدمًا جماعة الإخوان الإرهابية وكتائبها الإلكترونية مع ما يُقدم لها من دعم منقطع النظير من مخابرات الدول التي تهدف إلى إسقاط منطقتنا في براثن الفوضى ، مما يتطلب منا جميعًا اليقظة التامة لهذه المخططات الخبيثة، والتعامل بحسم مع الخونة والعملاء ، وقطع أي يد تحاول أن تعبث بأمن هذا الوطن وأمانه أو أن تنال من ثوابته الوطنية أو تعمل على هدم بنيانه ، على أن ذلك كله إنما يحتاج إلى تضافر الجهود ووعي شديد بما يخطط ويحاك لوطننا ومنطقتنا من أعدائنا المتربصين في الخارج وعملائهم من الخونة والمأجورين بالداخل ، مع إدراك أن جماعة الإخوان الإرهابية هي رأس الأفعى ومفتاح كل شر والحاضنة الكبرى لكل الجماعات الإرهابية ، وأن القضاء عليها يعني زلزلة أركان الجماعات الإرهابية كافة.

الدولة الوطنية والهوية العربية

قضية الهوية والانتماء من أهم القضايا التي إما أن تؤدي إلى الأمن والاستقرار، والازدهار والنماء، وإما أن تؤدي إلى التشرذم والتفكيك، وإثارة الاضطرابات والقلاقل والفتن، وربما العمالة أو الخيانة .

وللهوية أركانها ومعالمها التي يقاس من خلالهما مدى انتماء المرء لوطنه وهويته، ولا شك أن جميع الدول والقوميات والأعراق والمذهبيات سواء تلاقت أم تداخلت أم توازت أم تناقضت، فإن كلا منها يسعى ويعمل على تعميق الولاء والانتماء له لدى منتسبيه أو مستهدفيه، غير أن هناك صراعًا تاريخيًّا أو شبه تاريخي يقوى ويطفو على السطح حينًا، ويخفت ويستتر حينا آخر، لكنه موجود بصورة أو

بأخرى على أية حال، وهو ذلك الصراع بين الحريصين على هوية الدولة الوطنية ومن يعملون أو يدينون بولاءات أخرى .

والفهم الخاطئ الذي أصلته ورسخته كثير من الجماعات المتطرفة لدى عناصرها هو أن الولاء للجماعة والتنظيم فوق الولاء للوطن، وهذا الفهم تتبناه جميع الجماعات الإرهابية والمتطرفة التي ترى أن الدولة الوطنية بحدودها الراسخة المستقرة تقف صخرة وعقبة كئود في وجه مشروعاتهم السلطوية للقفز على الدولة الوطنية .

ونؤكد على الآتي :

١- أهمية تعميق وترسيخ الولاء والانتماء الوطني، والاعتزاز بالوطن والاستعداد لفدائه بالنفس والنفيس مع الشعور بفضله، والحفاظ على ترابه وثراه، والتأكيد

على أن الوطنية ليست نقيضًا للدين أو مقابلا له، بل هي من صلب الدين، وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول مخاطبًا مكة المكرمة : والله يا مكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت، وظل (صلى الله عليه وسلم) يصوب نظره إلى السماء آملا أن يرده الله (عز وجل) إليها ردًا جميلا، ولو بالتحول تجاهها في صلاته، حتى نزل قول الله تعالى : "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ " .

٢- أن ترسيخ الهوية الوطنية له معالمه الظاهرة من احترام علم الدولة والعمل على رفعه عاليًّا، وترسيخ

نشيدها الوطني وكل ما يحفر اسمها في النفوس والقلوب، وله ما يدعمه مضمونًا وجوهرًا من العمل والإنتاج، وإيثار المصلحة العامة للوطن على أي مصالح أخرى، وإدراك أن مصلحة الوطن هي مصلحة لجميع أفراده وأبنائه، وأن رجلا فقيرًا في دولة غنية قوية خير مائة مرة ومرة من رجل غني قوي في دولة فقيرة ضعيفة مهددة في كيانها وأصل وجودها .

٣- أن الهوية الوطنية قد تتلاقى مع هويات أخرى عربية، أو إسلامية، أو أفريقية، أو أسيوية، حسب ظروف وموقع كل دولة، على ألا يكون ذلك توجه أفراد أو جماعات أو أحزاب أو قبائل بمعزل عن التوجه الوطني، فيذهب هذا إلى الشرق وذاك إلى

الغرب وثالث إلى الشمال ورابع إلى الجنوب، مما يؤدي إلى تمزق الدول وتفككها وتشتيت كيانها بل ربما تشرذمها، بل أن تكون الدولة الوطنية على قلب رجل واحد في توجهاتها بما يعطيها القوة في محيطها الإقليمي وفي علاقاتها الدولية.

٤- أننا مع اعتزازنا بهويتنا وحضارتنا وثقافتنا الإسلامية وإدراكنا لأهمية العمق الاستراتيجي الأفريقي، فإننا نرى في بعدنا العربي بعدًا هامًا يتطلب مزيدًا من العمل المشترك في ظل التحديات التي تواجه عالمنا العربي في وجوده وكيانه وتماسكه، متطلعين إلى دور أكبر وحركة دءوب لجامعة الدول العربية بما يحقق جمع الشمل العربي، إذ نرى أن هذا الأمر صار ملحًا، وأن المصلحة العربية المشتركة تقتضي أقصى درجات

التنسيق والمشاركة في كل المجالات بما يحفظ للأمة العربية هويتها، ويحقق لها مجتمعة أمنها واستقرارها، ويسهم في القضاء على الإرهاب في المنطقة، ويخلصها ويسهم في تخليص العالم كله من شر التطرف والإرهاب، آملين أن يُشكل عملنا المشترك قوة ضاغطة في جميع المحافل الدولية بما يسمع صوتنا للعالم، ويبرز أننا ضحايا ولسنا جلادين، وأننا في مقدمة المواجهين للإرهاب لأننا أكثر من يكتوي بناره، وأننا دعاة سلام لا دعاة حرب، غير أنه سلام لا يمكن أن يكون ولن يكون أبدًا استسلامًا، وأن هذه الأمة لن تستسلم ولن تموت، وأن روح المقاومة فيها لا تزال وستظل حية قوية، وأنها لا يمكن أن تكون صيدًا سهلاً لأعدائها، وأنها على قدر المسئولية

والتحديات، غير أن الأمر يتطلب تحركًا سريعًا على كل المستويات قبل فوات الأوان، لأن الخطر داهم، والخطب شديد، والعدو شرس لا يهدأ ولا ينام، ويجب أن تكون يقظتنا أشد وهمتنا أعلى، لأن الأمر يتعلق بأصل وجودنا، فإما أن نكون أو ألا نكون، مع التأكيد على أننا معًا سنكون قادرين على تجاوز التحديات، معًا على المستوى الوطني، والمستوى العربي، والمستوى الإسلامي، والمستوى الأفريقي، والمستوى الدولي، معًا مع الدول الصديقة والمحبة للسلام، معًا وفي كل ميدان بحسبه وما يناسبه، وليس أي من هذه العلاقات على حساب علاقة أخرى تتساوق معها أو تتوازى، على أننا إن أحسنا إدارة الأمر فستكون كل علاقة منها دعمًا للعلاقات الأخرى، وبما يحقق مصالح

الجميع، إذن ينبغي على كل طرف أن يحمل الخير لنفسه ولغيره وللإنسانية لنحيا معًا حياة هادئة هانئة، لا أن تتحول الساحة الدولية إلى صراعات مختلفة لا تبقى ولا تذر، ولا تعود بالخير على أحد، فالعاقل من يعمل للسلام له ولغيره، والأحمق من يسعى للهلاك والدمار والقلاقل والفتن، فإن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وإنا لنرجو أن نكون منهم إن شاء الله تعالى.

*   *   *

الخطاب العلمي والخطاب العاطفي

يقوم الخطاب أي خطاب على أسس منها الفكرة والمضمون ، واللفظ والأسلوب ، والعاطفة ، والخيال ، ويحدد مدى ارتكازه على هذا العنصر أو ذاك كونه علميًّا خالصًا يخاطب العقل والمنطق أو كونه إبداعيًّا خالصًا يعمد إلى هز العواطف والأحاسيس وإثارة الوجدان ، أو كونه علميًّا أدبيًّا يعمد إلى عرض القواعد والأصول العلمية في لغة أدبية راقية ، وهذه الطريقة من الأداء تحتاج إلى تمكن من العلم والأدب واللغة معًا وإلى دربة وخبرة ورياضة وتمرس ، وقد يكون علميًّا خالصًا يعتمد على المنطق وسرد الحقائق بعيدًا عن الخيال اللغوي.

على أن نوع الأسلوب إنما يتحدد وفق طبيعة الموضوع والمادة العلمية ، و قد يتحدد تبعًا لهدف ونية ورغبة وتوجه المتحدث ، فإن كان يهدف إلى تصحيح المفاهيم مال إلى

المنطق والإقناع والأسلوب العلمي وسوق الدليل ، وتسلل إلى ذلك باللغة السهلة الشيقة الراقية المؤثرة المعبرة الجياشة المتدفقة.

أما إذا كان المتحدث يهدف أول ما يهدف إلى لفت الأنظار واسترضاء السامعين وكان كلُّ أو جُلُّ ما يعنيه هو رضا المستمعين ، عمد إلى مجرد دغدغة العواطف وإثارة الوجدان ولو على حساب الفكرة والمضمون.

ولا يمكن أن يكون جل هم العالم أو المصلح أو الخطيب هو تحقيق ما يطلبه المستمعون عاطفيًّا لا عقليًّا ، فالعالم والمصلح والخطيب كل منهم كالطبيب الحاذق يعطي المريض ما يصلحه لا ما يشتهيه أو مجرد ما يقبله أو يطلبه.

فقد يكون المريض في حاجة إلى العلاج بالجراحة ولا يريدها لكن نجاته محصورة في إجرائها ، فلا يمكن لطبيب ماهر حاذق أن يترك مريضًا للهلاك لأنه لا يريد الجراحة التي

لا بديل عنها ، وقد يخبر المريض الطبيب بأنه لا يريد العلاج إلا في شكل شراب أو أقراص لأنه يرتعد من وخز الإبر في حين يرى الطبيب أن حالته لا يسعفها سوى هذا اللون من ألوان العلاج ، أو أن يطلب الطبيب منظارًا فيقول المريض أنا لا أطيقه ولا أقبله ، وهو أمر لا بد منه لإتمام العلاج الصحيح من وجهة نظره ، فلو سلم الطبيب للمريض بما يريحه لا ما يصلحه لأضر به وضيعه ، وهكذا حال العالم والمصلح والخطيب يعطي الناس ما يصلحهم فإن تمكن من ذلك بلغة شيقة رشيقة راقية مؤثرة وهز فيهم مع ذلك العواطف والمشاعر الراقية فقد جمع بين الحسنيين ووصل إلى درجة البيان الذي يهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة فلا تدري أجاءك الحسن من جهة لفظه أم من جهة معناه.

والمتحدث الحاذق هو من يمتلك القدرة البيانية التي تؤهله للوصول إلى مراده من أقصر الطرق وأعذبها وأرشقها، ومن يمتلك ناصية القول شكلاً ومضمونًا ، معنى ومبنى ،

وبهذا تميز الفصحاء والبلغاء على غيرهم ، وقيل لأحدهم أديب وللآخر حكيم أو فيلسوف .

على أن أهم ما يميز العالم أو المصلح أو الخطيب هو إخلاص النية لله (عز وجل) وحسن القصد في القول والعمل، فما خرج من القلب يستقر في القلب ، وما خرج من محض اللسان لا يتجاوز الآذن ، وما من إنسان قصد بعمله وجه الله فخاب أو ضاع.

وإذا كان الإخلاص مطلوبًا في كل شيء فإنه في عمل العلماء والخطباء أوثق وألزم يقول الحق سبحانه : " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً " ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" ، وفي الحديث القدسي يقول رب العزة (عز وجل) : " أَنَا

أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ".

وعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا شَيْءَ لَهُ) فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا شَيْءَ لَهُ) ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا ، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ".

* * *

العبور الثالث

مَرَّت مصرنا الغالية بالعديد من مراحل العبور إلى بر الأمان ، غير أن العبور الأكثر شهرة والذي يذهب إليه الذهن للوهلة الأولى هو عبور خط بارليف في السادس من أكتوبر ١٩٧٣م الموافق العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ .

أما ما يمكن أن نطلق عليه العبور الثاني فهو العبور بمصر إلى بر أمان جديد في الثلاثين من يونيه ٢٠١٣م بعد أن اختطفت جماعة الإخوان الإرهابية الوطن وحاولت توظيفه لصالح تنظيمها الإرهابي الدولي وخدمة أهدافه ومصالحه ، فقيض الله لمصر ابنًا بارًّا من خيرة أبنائها هو السيد الرئيس / عبد الفتاح السيسي الذي لبى نداء الشعب والوطن معًا حاملاً روحه على كَفّهِ فداءً لهذا الوطن ، فسدد الله خطاه ووفقه لإنقاذ هذا الوطن من براثن الجماعة الإرهابية الغادرة ومكرها الخبيث.

أما العبور الثالث الذي نحتاج إليه ويجب أن تتضافر الجهود من أجله ولا يقل أهمية عن العبورين الأولين ، بل إنهما لا يكادان يكتملان إلا به ، فهو العبور بالوطن اقتصاديًّا في مواجهة التحديات وكل محاولات الحصار الاقتصادي من الخارج واصطناع الأزمات أو العمل على تأجيجها من قبل الخونة والعملاء أنصار الجماعة الإرهابية ومن يدورون في فلكهم من المأجورين والمستخدمين في الداخل ، وهذا العبور العظيم يحتاج إلى تضافر الجهود في العمل والإنتاج والإتقان ، والصبر والتحمل وترشيد الاستهلاك ، والوعي بالمخططات التي تستهدف إسقاط الدولة أو إرباكها، وأن نكون يدًا واحدة في مواجهة الفكر الإرهابي والجماعات الإرهابية فوحدة الصف سبيل النجاة ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ

النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (آل عمران : ١٠٣-١٠٥) ، ويقول سبحانه: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " (الأنفال : ٤٦) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ " (صحيح البخاري) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " (رواه مسلم) .

كما يجب أن نكون على وعي تام بحروب الجيل الرابع التي تقوم على عمل كتائب الجماعات الإرهابية لنشر الفوضى والشائعات والأكاذيب والمغالطات وقلب الحقائق

دون وازع من دين أو خلق أو ضمير إنساني حي ، وأن نعد شبابنا الوطني على مواجهة هذه التحديات الإلكترونية بتسليحهم بالعلم والخبرة اللازمة في هذا المجال باعتباره واحدًا من أكثر وسائل الاتصال تأثيرًا وبخاصة لدى الشباب.

العبور الجديد يتطلب أن نعي مسئولياتنا جيدًا على مستوى الأفراد والهيئات والمؤسسات ، وأن نعمل على الوفاء بها وإنجازها على الوجه الأكمل والأمثل ، وبأقل كلفة ممكنة ، وبروح وطنية متدفقة متأهبة للعطاء والإسهام في صناعة العبور الجديد.

العبور الجديد يتطلب أن نعمل جميعًا على كل المستويات على تحقيق العدالة في جميع جوانب حياتنا ، وأن يتم تمكين الكفاءات وبخاصة الكفاءات الشابة ، والذي يُعد المؤتمر الوطني الأول للشباب الذي عُقد بمدينة شرم الشيخ بمحافظة جنوب سيناء خطوة جادة في اتجاه تمكين الشباب من المشاركة في القيادة والإسهام فيها بصورة فعالة.

وأثناء عودتنا من هذا المؤتمر وعلى متن طائرة مصر للطيران في طريقنا إلى القاهرة كان حديثي مع السيد/ طارق عامر رئيس البنك المركزي حول ما يمكن أن يسهم في تحقيق هذا العبور الثالث ، فأكد لي من واقع تجربته وخبرته الطويلة أننا في حاجة إلى العبور نحو تحقيق الكرامة الوطنية والاستقلال الحقيقي ونحن ماضون بقوة في هذا الاتجاه في ظل السياسة الوطنية الحكيمة التي ينتهجها السيد رئيس الجمهورية ، غير أننا جميعًا ينبغي أن ندرك أن هذا الاستقلال وتلك الكرامة الوطنية إنما يحتاجان إلى ثمن من الصبر والتحمل والتضحية وقوة الإرادة ، وأن يتحول المجتمع كله إلى طاقة هائلة متدفقة عملاً وإنتاجًا ، مع ترشيد استهلاكنا حتى نحقق التوازن في المعادلة الاقتصادية على النحو الذي يؤهل مجتمعنا لمزيد من التقدم والازدهار وهو ما نؤمله بإذن الله تعالى ثقة فيه سبحانه ثم في عزيمة المصريين في القريب العاجل إن شاء

الله " وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ".

ولا شك أن أي اقتصاد إنما يقوم على عنصرين أساسين، هما زيادة الإنتاج وترشيد الاستهلاك ، وقد حثنا ديننا الحنيف على الأمرين معًا ، فقال سبحانه في شأن ضرورة السعي والعمل : " فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" (الملك : ١٥) ، وقال سبحانه : "فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا " (النساء : ١٠٣) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ أَمْسَى كالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ" (المعجم الأوسط)، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" (رواه أحمد) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" (صحيح

البخاري) ، وفي جانب ترشيد الاستهلاك يقول الحق سبحانه: " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأعراف : ٣١) ، ويقول سبحانه : " وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا " (الإسراء : ٢٦-٢٧).

* * *

القيم الإنسانية

لاشك أن ديننا الحنيف مفعم بالقيم الإنسانية سواء فى أخلاقه أم في تشريعاته ، فعندما كرم الإسلام الإنسان كرمه على أخلاقه الإنسانية بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو عرقه ، فقال سبحانه : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ " ولم يقل : كرمنا المسلمين وحدهم ، أو المؤمنين وحدهم ، أو الموحدين وحدهم ، وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول: "كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود و لا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وكان يقول في شأن سلمان الفارسي : "سلمان منا آل البيت" ، وعن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول :

"أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا" ، يعنى بذلك بلالًا الحبشي ، وقال رسولنا (صلى الله عليه وسلم) : "لينتهين رجال عن فخرهم بأناس إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أبغض إلى الله (عز وجل) من الجعلان التي تدفع بأنفها النتنة".

وعندما حرم الإسلام قتل النفس حرم قتل النفس كل نفس وأي نفس، وعصم كل الدماء فقال الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ "، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم)، لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا " وعندما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) امرأة

كافرة عجوزًا مقتولة فى ساحة القتال قال (صلى الله عليه وسلم) : "من قتلها ما كانت هذه لتقاتل" ، بما لا يعنى أنه لا يوجد في الإسلام قتل على المعتقد إنما يكون القتال لرد العدوان ، ولما مرت عليه (صلى الله عليه وسلم) جنازة يهودي وقف (صلى الله عليه وسلم) حتى مرت ، فقيل له : إنها جنازة يهودي يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وسلم): أليست نفسًا ؟ ! وعندما تحدث القرآن الكريم عن خيرية هذه الأمة ربط هذه الخيرية بإنسانية هذه الأمة وكونها خير الناس للناس ، فقال سبحانه وتعالى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم" .

وقد عني التشريع الإسلامي بشأن الأيتام والضعفاء والفقراء والمحتاجين وذوي الاحتياجات الخاصة ، وجعل

(صلى الله عليه وسلم) الساعي على الأرملة والمسكين كالصائم القائم، وكالمجاهد في سبيل الله أجرًا وثوابًا وحسن عاقبة ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ" ، وعندما وصفته (صلى الله عليه وسلم) السيدة خديجة (رضي الله عنها) قالت : " فوالله لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

وقد راعى الإسلام حق الضعيف و الجار و المسكين والمحتاج ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَلا يُؤْمِنُ " . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : " جَارٌ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَه، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت "، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَان وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ "، ولما قيل له : إن فلانة صوامة قوامة إلا أنها تؤذى جيرانها، قال (صلى الله عليه وسلم) : هي في النار ، وعندما تحدث (صلى الله عليه وسلم) عن حقوق الجار سما بها إلى أعلى درجات الرقي الإنساني حين قال : وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها، وإلا لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، ثم قال : أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله" .

وراعى الإسلام حق وشعور الغريب والبعيد ، فقال الحق سبحانه في شأن معاملة الوالدين : "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ

إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا "، وجعل الإسلام اللقمة التي تضعها في فم امرأتك ، والنفقة التي تنفقها على ولدك صدقة ، ونهى حتى عن مجرد جرح المشاعر، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها - يعني الذكور – أدخله الله الجنة " ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه"، ودعا إلى كل ما يحقق الوفاق والوئام الإنساني ، فنهى عن التحاسد والتباغض والتنابز بالألقاب ، ودعا إلى التراحم والتزاور والتسامح ، وحسن الظن ومناداة الإنسان بأحب الأسماء إليه والبشاشة في وجهه، فقال (صلى الله عليه وسلم): "لا يحقرن أحدكم شيئًا

من المعروف وإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طليق، وإن اشتريت لحمًا أو طبخت قدرًا فأكثر مرقته واغرف لجارك منه" فما أحوجنا إلى استعادة وترسيخ هذه القيم الإنسانية التي دعا إليها ديننا الحنيف لنحقق بصدق خيرية هذه الأمة كما أرادها الله (عز وجل) ، ونستحق بها رحمة الله أولًا ، وأن نكون شهداء على الأمم ثانيًا وأن نغير الصورة القاتمة التي رسمتها الجماعة الإرهابية المضللة لديننا الحنيف من جهة أخرى .

* * *

الثالـــوث المقـــوم

إذا كان هناك ما يعرف بالثالوث المدمر، وهو الجهل والفقر والمرض فإن من الطبيعي أن يكون ما هو عكس ذلك من العلم والمال والصحة وسيلة للتقدم والرقي على مستوى الأفراد والأمم، ولكني من واقع تجربة عشتها لأيام خلال زيارتين لدولة صديقة لمصر وهي دولة كازاخستان، ورأيت كيف يحرص هذا الشعب على جملة من العادات المحمودة، من أهمها نظافة الإنسان والمكان، والحرص على الرياضة، وتقديس العمل، حيث يبدأ العمل ما بين السابعة والتاسعة صباحًا وفق نطاق كل مؤسسة وينتهي ما بين الخامسة والسابعة مساءً، وفي رحلة جبلية رأيت كيف يعشق كثير من الكازاخستانيين صعود الجبال أو تسلقها، أو التزحلق على جليدها، وكما قال أبو القاسم الشابي:

وَمَنْ لا يُحِبّ صُعُودَ الجِبَالِ
يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَـرِ

وفي لقائي برئيس مجلس الشيوخ الكازاخستاني، ثم بوزير الثقافة والرياضة وشئون الأديان، ثم بصحبة نائبه طوال الزيارة كان لنا أحاديث عديدة في الشأن الديني والدعوي والفكري والثقافي والرياضي، ففكرت أن أكتب مقالاً تحت عنوان "الثقافة والرياضة" أُبيّن فيه أثر كل منها في بناء الشخصية السوية، غير أني تأملت في مسمى وزارة الثقافة والرياضة وشئون الأديان، فقلت هذا هو بيت القصيد، ومربط الفرس كما يقولون، فهذا الثالوث : الدين، والثقافة، والرياضة، يُعد أهم ثالوث مقوم لسلوك الإنسان ومؤثر في بناء وتكوين شخصيته، ولا يمكن لواحد منها أن يقوم ببناء الشخصية بناءً متكاملاً بمعزل عن المكونين أو

المقومين الآخرين، فمن حيث الجانب الرياضي نستطيع أن نقول : لا يمكن أن تكون هناك لياقة ذهنية تامة بدون لياقة بدنية تامة، وكما قالوا : العقل السليم في الجسم السليم، وإنها لمقولة سديدة إلى حد بعيد.

وأما من حيث الثقافة فقد أكدت في أكثر من مقال ومقام أن جزءًا كبيرًا من واقعنا المؤلم المر في مجال الفهم الخاطئ، والتصرفات الخاطئة، والوقوع في براثن الجهلة من عناصر الجماعات المتطرفة يرجع إلى ضيق الأفق الثقافي أو ضآلته أو ضحالته أو انغلاقه أو انسداده، وقد عرّف بعض المفكرين من المناطقة الإنسان بالرسم لا بالحد، وبالخاصة على النحو الذي قرروه في باب التعريفات بأنه "حيوان مثقف"، وكأنهم يقررون أن إنسانية الإنسان تقاس بمقدار ثقافته "وقدر كل امرئ ما كان يحسنه"، وقديمًا قالوا:

"قبح الله من لا أدب له" وكان الأدب آنذاك معادلاً للثقافة ومرادًا بها كما أنها مرادة به، فقد كانا أشبه بالمترادفين، ولذا قالوا : الأدب جماع العلم .

أما المجال الثالث الذي لا يكتمل البناء الإنساني إلا به، فهو الفكر الديني الصحيح الذي لا يخالطه تشويه ولا سوء فهم، الذي يؤخذ عن العلماء المتخصصين، وليس عن الجهلة أو الدخلاء أو المأجورين أو المنتفعين، أو المتاجرين بالدين، بل عن هؤلاء العلماء الراسخين في العلم، والذين قال الله (عز وجل) فيهم : " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"، وقال فيهم : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"، وقال فيهم : " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"، وقال فيهم نبينا محمد (صلى

الله عليه وسلم) : " وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِر ".

*　　*　　*

الوجـــوه المسفرة

لقد تحدث القرآن الكريم عن وجوه المؤمنين ووجوه الكافرين ، فقال في الأولى " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ "، وقال سبحانه : " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " ، وقال في الأخرى : " وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ " ، وقال سبحانه : "تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ " ، وقال سبحانه : "لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ " ، وقال سبحانه : " أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، وقال في مانعي الزكاة " يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ

تَكْنِزُونَ " .

والحقيقة أن ما دفعني إلى كتابة هذا المقال هو سفرة طويلة رأيت فيها وجوها مختلفة لا علاقة للأمر فيها بالجنة أو النار ، فهاتان مآلهما وعلمهما وأمرهما إلى الله وحده ، إذ لا يمكن لأحد من الخلق أن يحكم على أحد بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار ، فذلك شأن خطير ، وفي حديث نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : " كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى

مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ" .

إنما كانت القضية تتعلق بمدى انبساط الوجه وتبسم المرء في وجه أخيه ، ومحاولة إدخال البسمة أو السعادة أو السرور عليه ، من باب قوله (صلى الله عليه وسلم) : " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ" ، وقد قالوا : البر شيء حسن ، وجه طلق وقول لين ، هذه الوجوه بغض النظر عن دينها أو مدى تدينها هي دنيا الناس، وجوه نضرة ، وجوه مضيئة ، وجوه إنسانية .

غير أن على الجانب الآخر نرى الوجوه الكالحة العابسة الكئيبة تعلوها غبرة وترهقها قطرة ، فلا هي فاقهة لأمر دينها ، ولا لأمر دنياها ، فهناك وجوه عبوسة مكفهرة لا

تكاد ترى لصاحبها بسمة ولا تدخل على أحد مسرة ، ومع ذلك يظن بعض أصحاب هذه الوجوه العابسة البائسة أن هذا العبوس وتلك الكآبة قد تعطيهم قوة أو تضفي عليهم مهابة مصطنعة ، على أن من يفكرون بهذه الطريقة إنما يحاولون أن يجبروا بداخلهم نقصًا وضعفًا وهزيمة نفسية داخلية ، فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يمزح غير أنه (صلى الله عليه وسلم) لا يقول في جده ولا مزاحه إلا حقًّا ، نحو ما كان من مداعبته لتلك العجوز بقوله (صلى الله عليه وسلم) : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ، فَبَكَتْ عَجُوزٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ يَوْمَئِذٍ عَجُوزٌ إِنَّهَا يَوْمَئِذٍ شَابَّةٌ " وذلك حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا ".

وقد روى في مواضع متعددة من كتب السنة والسيرة

تبسمه (صلى الله عليه وسلم) في وجه أصحابه ، ومداعبته لهم ، وملاطفته إياهم ، فقد رأى (صلى الله عليه وسلم) الإمام عليًّا (رضي الله عنه) نائمًا على الأرض فقال له مداعبًا: " قُمْ أَبا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ " ، ولما رأى الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي يحمل هرة لاطفه بقوله "يا أبا هر" وظل يلاطفه بهذا اللقب في مواقف عديدة ، بل إن كتب السنة والسيرة لتؤكد أنه (صلى الله عليه وسلم) ضحك في بعض المواقف حتى بدت نواجذه من شدة الضحك ، الضحك الذي لا إسراف فيه ولا يخل بهيبة أو مروءة .

وخلاصة القول أن ديننا دين السماحة في القول والعمل ، والطلاقة والبشاشة في الوجه ، والأريحية في النفس والعطاء ، وفي كرم الطباع ، في الكلمة والنظرة والبسمة ، فالمسلم الحق كريم معطاء سهل هين لين يألف ويؤلف ،

والكافر فظ غليظ لا يألف ولا يؤلف ، وشر الناس من لا تؤمن غضبته ولا يرجى حلمه ولا خير فيه للناس.

* * *

نحبــك يا رســول اللّه

حبُّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جزء لا يتجزأ من الإيمان ؛ يقول سيدنا عبد الله بن هشام (رضي الله عنه) : " كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : الْآنَ يَا عُمَرُ"، أي الآن كمل إيمانك وتم.

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " ، وجاء رجل يسأل

النبي (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ فقال له (صلى الله عليه وسلم): "وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟" فقال الرجل: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، وقد كان الشافعي (رحمه الله) يقول:

أحِـــبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْت مِنْهُـمْ
لَعَلِّي أَنْ أَنَـالَ بِهِـــمْ شَفَاعَـــهْ
وَأَكْـــرَهُ مَنْ تِجَارَتُـهُ الْمَعَاصِـــي
وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِـــي الْبِضَاعَـــهْ

فإذا كان هذا هو حب الصالحين ، فما بالكم بحب سيد المرسلين وخير خلق الله أجمعين (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ؟! ثم كيف لا نحبه (صلى الله عليه وسلم) ، ونذوب في حبه ، وهو الذي أخرجنا الله (عز وجل) به من الظلمات إلى النور، وهدانا به إلى صراطه المستقيم ، وهو الذي رفع الله (عز وجل) ذكره، وشرح صدره ، وزكَّى خلقه ، وجعله خير شافع

وخير مشفع ، وهو الذي يصلي عليه رب العزة (عز وجل) ويأمرنا بدوام الصلاة والسلام عليه، فيقول سبحانه : "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" ، ويقول سبحانه على لسانه (صلى الله عليه وسلم) : "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" ، ويقول سبحانه : "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" ، ويقول : (صلى الله عليه وسلم) : "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ" .

ويقول سيدنا حسان بن ثابت:

وضـمَّ الإلـــهُ اسمَ النبيّ إلـى اسمهِ
إذا قَـالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ
وشـقّ لـهُ مــــنِ اسمـهِ ليُجلـــهُ
فـذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمـدُ

غير أن هذا الحب لا يمكن أن يكون مجرد كلام ، إنما هو حسن اقتداء ، وحسن اتِّباع ، وتخلق بأخلاق الحبيب (صلى الله عليه وسلم) واقتداء بهديه ، يقول الشاعر :

تَعْصِي الإِلـه وَأَنْـــتَ تُظْهِــرُ حُبَّــهُ
هــذا محــالٌ فـــي القياس بديــعُ
لَوْ كانَ حُبُّــكَ صَادِقـــًا لأَطَعْتَـــهُ
إنَّ الْمُحِـــبَّ لِمَـــنْ يُحِـبُّ مُطِيعُ

إن من يحب رسول الله لا يمكن أن يكون كذَّابًا ، ولا غشاشًا ، ولا خائنًا ، ولا جشعًا ، ولا متكبرًا ، ولا سبَّابًا ، ولا مبتدعًا ، بل يكون كما قالت عائشة (رضي الله عنها) عن الحبيب (صلى الله عليه وسلم) : كان خلقه القرآن، وكان

(صلى الله عليه وسلم) قرآنا يمشي على الأرض، أو كما قالت السيدة خديجة : كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدهر .

* * *

إلا حرم رسول الله وجواره

لا شك أن مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) هو مقصد شرعي للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَسْجِدِ الأَقْصَى"، وحيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"، وبه روضته الشريفة، وبين قبره (صلى الله عليه وسلم) ومنبره روضة من رياض الجنة.

ولقد كان بعض التابعين إذا اقترب من ساح حرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ارتجل من على دابته وخلع نعليه، وقال : نزلنا عن رواحلنا وخلعنا نعالنا إكرامًا لصاحب هذا القبـر أن نلـم به ركبًا .

وهذا هو المعنى الذي أخذه حكيم العربية أبو الطيب المتنبي فقال :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة
لمن بان عنه أن تلـم بـه ركبـا

فأي مسلم هذا الذي يمكن أن يفكر مجرد تفكير في المساس بهذه البقعة المباركة، بدل أن يفديها بروحه ودمه ؟ اللهم إلا إذا كان قد تجرد من كل معاني الإسلام، وكل معاني الإيمان، وكل معاني الإنسانية، فلم يعد له نصيب ولا حظ من دين ولا خلق ولا قيم ولا مروءة ولا إنسانية أو آدمية.

ولا شك أن حرمة جوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ميتا كحرمة جواره حيًا، وقد سمع الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنهما) رجلا يرفع صوته في مسجد رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا هذا الزم الأدب في حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فإن الله (عز وجل) قد مدح أقوامًا فقال : " إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ"، وذم أقوامًا فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ"، وإن حرمة رسول الله ميتا كحرمته حيًّا .

وإن العمار والزوار لحرم الله وحرم رسوله (صلى الله عليه وسلم) إنما هم وفد الله وضيوفه، فمن فكر في الاعتداء عليهم أو ترويعهم فقد حاد الله ورسوله، وإذا كان رب العزة (عز وجل) قد توعد من يفكر في المساس بحرمه الآمن، فقال سبحانه : " وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ "،

فإن عقابه سبحانه لمن يفكر في المساس بحرم رسوله (صلى الله عليه وسلم) سيكون عظيمًا في الدنيا والآخرة .

وإن الدفاع عن الحرمين الشريفين وافتداءهما بالغالي والنفيس يُعد فرض عين على المملكة وأهلها وفرض كفاية على المسلمين جميعًا، إذا قام به بعضهم سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثموا جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها، على أننا على ثقة في الله (عز وجل) بأنه حافظ حرمه وحرم نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ثم إننا لعلى ثقة في قدرة أشقائنا في المملكة العربية السعودية على حماية الحرمين الشريفين وقطع اليد التي تفكر في المساس بهما، ونحن جميعًا فداء لحرم الله وحرم رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ونقف صفًا واحدًا ويدًا واحدة مع أشقائنا في المملكة العربية السعودية حتى نجتث الإرهاب الأسود من جذوره بإذن الله تعالى.

* * *

حق الوالدين

عندما ننظر في كتاب الله (عز وجل) وفي سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نرى كيف تكون العلاقة المثلى بين الأبناء وآبائهم، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله أحد الناس : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قال : ثم أي ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : "ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ"، قال : ثم أي ؟ قال (صلى الله عليه وسلم) : "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ" .

انظر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) كيف قدم بر

الوالدين على الجهاد في سبيل الله، وعندما جاء أحد الشباب يستأذنه (صلى الله عليه وسلم) في الجهاد قال له سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟" قال : نعم، قال : "فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"، وجاء أحد الناس إليه (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله، إني أصبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة ؟ قال : "هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟" قال : لا، قال: " هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟" قال نعم، قال : "فبرها"، فانظر إلى بر الخالة، فضلا عن بر الأم كيف يكون وسيلة للتوبة والمغفرة وحسن المثوبة والعاقبة ؟.

أما العقوق نعوذ بالله منه فيقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في شأنه : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي

يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ"، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟" ثلاثًا، قالوا : بلى يا رسول الله، قال : "الإشْرَاكُ بالله ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ" وجلس وكان متكئًا ، فقال : " أَلا وَقَوْلُ الزّورِ" قال: فمال زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت .

ويقول الحق سبحانه : " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"، ويقول (عز وجل) : "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا "، ويقول الحق سبحانه : " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ "، وكان سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) يقول : ثلاث في القرآن نزلت مقترنة بثلاث لا تقبل واحدة منها دون الأخرى:

فأما الأولى فقول الله تعالى : "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ"، فلا تقبل طاعة الله إلا بطاعة رسوله "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" .

وأما الثانية فقوله تعالى : "فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ"، ولذا قاتل سيدنا أبو بكر (رضي الله عنه) مانعي الزكاة، وقال: "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) لقاتلتهم عليه، والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة".

وأما الثالثة فهي قوله تعالى : " أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ"، فلم يشكر الله من لم يشكر لوالديه، فمن عقّ والديه لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلاَ مَنَّانٌ" .

وقد يرى بعض الشباب أنه أكثر تدينًا من والده، فيغلظ له القول أو يسيء معاملته، فنقول لأمثال هؤلاء : انظر يا بني إلى قول الحق (سبحانه وتعالى) في شأن الوالدين : "وَإِنْ

جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "، فالوالدان حتى مع كفرهما أو حتى حال محاولتهما أن يحملاك على معصية الله أو حتى على الكفر، فلا تطعهما في ذلك غير أن ذلك لا يخول لك سوء معاملة أي منهما، إنما يجب أن تكون في جميع أحوالك كما أمرك الحق سبحانه "وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا"، على أن ندرك أن ذلك ليس تفضلا منك إنما هو حق وواجب عليك تأثم إن قصرت فيه أو لم تقم به، وعليك أن تدرك أن عقوق الوالدين مما يجعل له العقوبة في الدنيا مع ما فيه من غضب الله (عز وجل) في الآخرة، ويروى أن أحد الناس صنع لوالده إناء خشبيًّا فسأله أصغر أبنائه يا أبي لم صنعت هذا الإناء الخشبي ؟ قال : يا بني لنضع فيه الطعام لجدك الذي كبر حتى لا ينكسر، فقال الولد حسنا يا أبتاه سنضع لك فيه الطعام عندما تكون مثل جدي،

فافعل ما شئت كما تدين تدان .

* * *

حق الجوار

الجار له حق حتى في اللغة ، فعلماء النحو والصرف يذكرون أن أنواع الجر أربعة ، هي : الجر بالحرف ، والجر بالإضافة ، والجر بالتبعية ، والجر على الجوار ، ويمثلون له بقولهم : هذا جحر ضب خرب ، بجر كلمة خرب على الجوار، ذلك أن الخراب للجحر لا للضب ، وله أمثلة أخرى كثيرة حتى أفرد بعضهم بحثا أو بحوثًا للجر على الجوار ، وعلى الجملة فأنواع الجر الأربعة فيها جوار ما .

والجوار متسع كبير للجار : في المنزل ، والجار فى العمل، والجار فى الدول ، والصاحب بالجنب وهو الجار في السفر ، يقول الحق سبحانه : " وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ

السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ".

وفي حق الجار وشأنه يقول سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ " ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ"، قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ " ، أي الذي لا يأمن جاره شره .

وعندما جاء بعض الناس إلى سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكروا له أن فلانة صوّامة قوّامة ، تصوم النهار وتقوم الليل إلا أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال (صلى الله عليه وسلم) : "هي في النار" ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ" ، وقال (صلى الله عليه

وسلم) : " مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ".

ومن بيان حسن أدب الإسلام في التعامل مع الجار وبيان حقه على جاره قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَه ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا " ، لا أن تتباهى بها أمامه أو أن تستعلي بقدراتك وإمكاناتك المادية عليه .

ثم انظر إلى أدب الإسلام وقمة رقيِّه في العبارة التالية: "ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده" أي علم ولدك الأدب فلا يخرج بها ليغيظ ولد جارك ، لأن الولد قد يخرج فيراه ابن جارك الذي لا يستطيع أن يشتري له والده مثل ما اشتريت لولدك ، فيتقطع قلب الولد وقلب الوالد مع ولده ، فتحدث الشحناء والبغضاء بين الجيران بسبب الغيرة

والتحاسد "وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهِ وَلَدَهُ وَلا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا " أي لا تؤذه برائحة الطبخ، وخاصة إن كان شيئًا نفَّاذ الرائحة فأغلق النوافذ جيدًا حتى لا تؤذي الجيران ، إلا إذا كنت عازما على أن تطعمه وأهله منها، وكان سيدنا أبو الدرداء (رضي الله عنه) يقول لزوجه إذا طهيتي طعامًا فأكثري المرق حتى نرسل لجيراننا منه ، وكان سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) إذا ذبح شاة قال ارسلوا لجارنا اليهودي منها ، حيث إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أوصانا بحسن الجوار على إطلاقه ، ومعاملة جميع الجيران بما يستوجبه حق الجوار.

فمن حق الجار عليك أنه إذا مرض عدته، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن استعان بك أعنته،

وإذا استغاث بك أغثته ، وأن تكف عنه الشر لا أن توذيه أنت بأي لون من ألوان الشر قولا أو فعلاً ، مع ضرورة مراعاة أعلى درجات المروءة معه ، وقد جعل سيدنا عمر بن الخطاب شهادة الجار لجاره أو عليه من أعلى درجات التزكية أو الجرح ، لأن الإنسان وإن خدع بعض الناس بعض الوقت فإنه لا يمكن أن يخدع جيرانه كل الوقت .

وعندما جاء أحد الجيران لسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال له النبي (صلى الله عليه وسلم) :" كن محسنا " قال : وكيف أعرف أني محسن ؟ فقال : " سل جيرانك ، فإن قالوا : أنت محسن فأنت محسن، وإن قالوا : إنك مسيئ فأنت مسيئ "، وكانت العرب قديمًا تعرف حق الجيران ، وفي أمثالهم "جار كجار أبي دؤاد" ، كان هذا الرجل من

خيرة الجيران لجيرانه ، كان إذا مات أحد جيرانه وداه أي دفع لأهله ما يعادل دية رجل ، وإذا فُقد لجاره شيء أخلفه عليه من ماله .

و يروى أن أحد الصالحين كان له جار أصابته فاقة فباع بيته ،فمر جاره فسمع صوت بكاء أبنائه لفراق بيتهم ، فلما علم جاره الصالح اشترى البيت وأعاده إلى جاره وترك له المال .

هذا هو الجوار في الإسلام ، وهذه هي عناية الإسلام بالجار ، لو أن الناس تعاملوا بهذا المبدأ وتعاملوا بهذه الأخلاق لما كان هناك خلاف ولا شحناء ولا مشاجرات ، أما أن يتعمد الإنسان إيذاء جاره، أو حتى أن يؤذيه دون قصد ، قولاً أو فعلاً ، فليس هذا من خلق الإسلام في شيء ، مع تأكيدنا أن حق الجوار فيما بين الدول لا يقل شأنًا ، بل يزيد عن حق الجوار بين الأفراد ، لما يترتب على إساءة

حق الجوار بين الدول من مفاسد خطيرة ، وعلى حسن الجوار من منافع عظيمة.

* * *

سلامة الصدور

سلامة الصدر أحد أهم أسباب رضا الإنسان عن نفسه ورضا الله (عز وجل) عنه، ذلك أن نبينا (صلى الله عليه وسلم) قال لأصحابه يومًا يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فدخل رجل فتبعه سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ليقف على ما أوصله إلى هذه المكانة الرفيعة، فنزل عليه ضيفًا ليرقب أعماله ومدى اجتهاده في عبادته، فما وجد مزيد صلاة أو صيام أو صدقة، فحدث ابن عمر (رضي الله عنه) مضيفه عن سر نزوله عنده وأخبره بما كان في شأنه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسر نزوله عليه، فقال يا ابن عمر الصلاة والصيام، على ما رأيت، غير أني لا أبيت وفي صدري مثقال ذرة من حقد لأحد.

وقد تتعقد الأمور بين بعض الأشخاص أو بعض القبائل بما يكون بينها أو بينهم من ثأر وخصومات حتى يظن أكثر المتفائلين أنه الطريق الذي لا رجوع عنه، وينسون أو يتناسون أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا أراد أن يقلِّب أو يحوِّل قلبَ عبدٍ حوَّله، وهو ما كان منه سبحانه حين ألّف بين قلوب الأوس والخزرج على ما كان بينهم من ثارات متعددة وتاريخ طويل من الإحن والعداوة والبغضاء، فقال سبحانه مخاطبًا نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وممتنًا عليه بتأليف القلوب على يديه: " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"، ويقول سبحانه حاثًا على الوحدة ممتنا على عباده بتحقيقها لهم، فقال سبحانه : "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ".

وسلامة الصدر لا يمكن أن تبنى على التوجس والتربص والتحسس وسوء الظن، حيث يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ "، كما لا يمكن أن تُبنَى على عدم التسامح، إنما تبنى على الصفح الجميل، وحتى الهجر الجميل، ولين الجانب، ومقابلة السيئة بالحسنة، فالصفح الجميل : هو الذي لا مَنَّ معه، حيث يقول الحق سبحانه : " فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ "، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه، حيث يقول الحق سبحانه : " وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا " .

وكذلك تبنى سلامة الصدر على لين الجانب، حيث

يقول الحق سبحانه مخاطبًا حبيبنا (صلى الله عليه وسلم) : "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"، كما تقوم سلامة الصدر على العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"، وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " .

كما أن على الإنسان أن يدرك أن ثمة فرقًا واسعًا بين قلب يحمل العداوة والبغضاء، وقلب يحمل الحب والتسامح

مع الناس جميعًا، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ ".

مع التأكيد على أن سلامة الصدر ترتبط غاية الارتباط بالرضا بما قسم الله، وإدراك الإنسان أن الأمر كله بيد الله (عز وجل) وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"، وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيء قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ".

على أن هناك أمورًا قد تعين على تحقيق سلامة الصدر،

فعدل الأب بين أبنائه يورثهم سلامة الصدر بعضهم تجاه بعض، وعدل المعلم تجاه طلابه يورثهم سلامة الصدر بعضهم تجاه بعض، وعدل المسئول بين مرءوسيه وصاحب العمل تجاه عماله يورثهم سلامة الصدر، والإحسان يورث سلامة الصدر، وقد قالوا : أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

ومن الأمور التي تعين على سلامة الصدر الكلمة الحلوة الرقيقة والقول الحسن "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا"، وإفشاء السلام "أفشوا السلام بينكم تحابوا"، وإطعام الطعام، وإكرام الصغير، وقد قالوا : أكرم صغير القوم يكرمك كبيرهم وينشأ على محبتك صغيرهم، ومما يورث سلامة الصدر: التواضع والبعد عن الكبر والاستعلاء على الناس، ومن أهم ما يورث سلامة الصدر ويؤلف بين القلوب احترام إنسانية الإنسان وآدميته، وعدم إحراجه أو تنقيصه، بل العمل على رفع الحرج

وإزالته عنه، والتماس الأعذار له، وقد قالوا : التمس لأخيك عذرًا إلى سبعين عذرًا فإن لم تجد فقل لعله كذا لعله كذا، فخير الناس أعذرهم للناس، وأسلمهم صدرًا وأرضاهم نفسًا.

* * *

المسجـــد الجامـــع

المساجد بيوت الله، وعمارها زوارها، وحق على المزور أن يكرم زائره، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ".

وهذه البيوت يعمرها أهل الإيمان، وتتعلق بها قلوبهم، وجزاؤهم فيها خير الدارين، حيث يقول الحق سبحانه : " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ" ، وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :

"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ".

على أن رسالة المسجد في الإسلام تتجاوز كونه دار عبادة إلى ما هو أبعد من ذلك من جوانب علمية وثقافية وتعليمية وتربوية واجتماعية، وهو ما جعلنا نؤكد على إحياء

فكرة المسجد الجامع، باختيار ألف مسجد جامع على مستوى الجمهورية كمرحلة أولى، بحيث يتم اختيار ألف إمام من أكفأ الأئمة وأكثرهم تميزًا والتزامًا بواجباتهم الشرعية والوطنية والمهنية الوظيفية، مع مجموعة متميزة من المعاونين، سواء من مقيمي الشعائر، أم المؤذنين، أم العمال، مع مجلس إدارة وطني يعي معنى ومبنى رسالة المسجد الجامع .

على أن يقوم المسجد الجامع برسالته الدعوية والتربوية والتثقيفية من خلال خطبة الجمعة والدروس الأسبوعية المتنوعة، والندوات، والأمسيات الدينية، وإلى جانب ذلك نسعى أن يكون بكل مسجد جامع مكتب لتحفيظ القرآن الكريم، وفصل لمحو الأمية من خلال التعاون مع الهيئة العامة لتعليم الكبار ما أمكن ذلك، إضافة إلى مقارئ وحلقات القرآن الكريم، وتزويد هذه المساجد إما بمكتبات

أو مجموعات من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القضايا الحديثة والعصرية، وقد يتجاوز الأمر ذلك إلى دورات تدريبية نوعية في المساجد الكبرى من هذه المساجد الجامعة .

وإلى جانب هذه الرسالة الدعوية، هناك رسالتان هامتان:

الأولى: **دور هذا المسجد ومجلس إدارته في مجال البر والتكافل والتراحم، والعناية بالفقراء والأيتام والمحتاجين من أبناء المنطقة المحيطة بالمسجد، فديننا دين التراحم والتكافل، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "، وحيث يقول سبحانه : "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"، وحيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ**

اللَّهُ عبداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ" ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَاد فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانَ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا؛ وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

الثانية: هي المشاركة المجتمعية والوفاء بحق المسلم على أخيه المسلم، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ"، وحيث يقول الحق سبحانه : " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"، إضافة مهام إصلاح ذات البين والصلح بين الناس والعمل على التأليف بين قلوبهم وإنهاء ما بينهم من عداوات أو شحناء .

الخطاب الديني المختطف

لا شك أن قضية الخطاب الديني بصفة عامة صارت تشكل هاجسًا عالميًّا نتيجة أعمال تلك الجماعات الإرهابية الإجرامية التي تتاجر بالأديان، ونتيجة ما حملته الأديان عبر تاريخها الطويل من مطامع البشر ، وتدثر السياسة لدى البعض بدثار الدين حتى قامت حروب سياسية ترفع رايات الدين وأعلامه لخداع العامة والدهماء وإضفاء ضرب من القداسة على هذه الحروب ، ونتج عن توظيف الخطاب الديني من بعض رجال الدين في أوربا في العصور الوسطى لتحقيق مكاسب دنيوية وسلطوية أن صار الناس على سطوة رجال الدين، وطالبوا بفصل الدين عن السياسة وبعلمانية الدولة ، لأن ما عانوه من تسلط رجال الدين آنذاك قد فاق

حدود البشر في التحمل أو قل في التجاوز والاعتداء، وأخذت قضية الدين تنزوي وتتلاشى في نفوس كثير من الغربيين ، ولولا أن الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها لكانت العواقب أشد وأقسى .

وعندما تاجرت بعض الجماعات وفي مقدمتها جماعة الإخوان الإرهابية وما انشق عنها أو انبثق منها أو نسّق معها من جماعات إرهابية تاجرت بالدين، رأينا فكرًا شاذًّا غريبًا على ديننا وأخلاقنا وقيمنا وحضارتنا ، رأينا كذبًا واختلاقًا وافتراءً لا يحتمله عقل ولا بشر ولا مجتمع، وعادت الجماعة إلى سيرتها الأولى من العنف والقتل والاغتيال وإهلاك الحرث والنسل، وتخريب العامر، وهدم البنيان، وترويع الآمنين أو استهدافهم ، دون وازع من دين أو ضمير إنساني حي، ثم انبثق عنها وتفرع منها وخرج منها من انضم أو نسق

مع داعش، والقاعدة، وجماعات الخذلان، وأعداء بيت المقدس، وجند الشيطان، ممن عاثوا في الأرض فسادًا، واستحلوا ما حرم الله من ذبح البشر وحرقهم والتنكيل بهم في موجات عنف لا تمت للإنسانية بصلة حتى رأينا من يذبح أخاه أو والده حجة أنهم لا يصلون، ورأينا من يدهس المواطنين الأبرياء الآمنين، لا ندري بأي ذنب قتلوا أو دهسوا ؟ وأي دين هذا الذي استباح دماءهم ؟ وأي مجرم هذا الذي أفتى بجواز ذلك ؟ ، بل أي إنسان هذا الذي خطط ودبر ونفذ ؟.

إن بعض الشباب قد ينجرون أو يساقون إلى هذه التنظيمات أو ينساقون إليها دون فهم أو وعي وبلا إدراك لطبيعة هذه الجماعات الضالة المضلة المجرمة المخربة المفسدة، حتى إذا ما دخلوا إليها دخلوا من الباب الذي لا

خروج منه ولا رجوع إليه، فإذا ما فكر الملتحق بهذه الجماعات مجرد تفكير في تغيير وجهته عن هذه الجماعات الضالة الآثمة، لاقى من العنت والتنكيل أضعاف ما يلقاه أعداء هذه الجماعات، ليجعلوا منه عبرة لكل من تسول له نفسه الخروج عليها أو الانصراف عنها .

وبدرجة أو بأخرى سعت جماعات كثيرة إلى اختطاف الخطاب الديني من علمائه المدققين وأهله المتخصصين ، وعملت على توظيفه لتحقيق مكاسب حزبية أو شخصية أو أيدلوجية ولو على حساب دينها ووطنها معًا، لأن بعضها لا يؤمن بوطن ولا بدولة وطنية، وبعضها الآخر ولاؤه لتنظيمه فوق كل ولاء، وانتماؤه له فوق كل انتماء .

لذا يجب أن نعمل معًا وبكل ما أوتينا من قوة على استرداد خطابنا الديني من مختطفيه من خلال العمل على

تحصين نشئنا وشبابنا، بالعلم والثقافة والعمل، وهو ما نعلن أن وزارة الأوقاف توليه اهتمامًا بالغًا سيتضاعف في المرحلة الراهنة بإذن الله تعالى من خلال إنشاء وتطوير مكاتب تحفيظ القرآن الكريم العصرية التي تعمل إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم على تنشئة أبنائنا على القيم الإيمانية والأخلاق الإنسانية الرشيدة، إضافة إلى مراكز الثقافة الإسلامية، ومن خلال تنقية كتب التراث مما علق بها من إسرائيليات أو دخيل أو موضوع، ومن خلال تعميم مشروع خطبة الجمعة الموحدة الذي نراه محصنًا للخطاب الديني من أن يختطف مرة أخرى، بل نراه يسهم إسهامًا واضحًا في استرداد الخطاب الديني من خاطفيه، ومن خلال إعداد برامج علمية مدروسة لمزيد من إعداد وتأهيل السادة الأئمة بما يسهم في صياغة نظرية علمية منهجية وشاملة لتحقيق الفهم المستنير للدين داخل مصر وخارجها بإذن الله تعالى، وإننا لنؤمل أن نسهم وبقوة في أن تقود مصر نشر هذا الفكر

المستنير في العالم كله من أقصاه إلى أقصاه .

*   *   *

الإسلام السياسي والتطرف الديني

مصطلح الإسلام السياسي واحد من المصطلحات التي أثارت ولا تزال تثير جدلا واسعًا حول علاقة الإسلام بالسياسة، وهل هو في قلبها أو بمعزل عنها ؟ وهل التداخل بينهما تداخل طبعي منطقي أو أن الفصل بينهما أمر حتمي؟

على أن كل هذه التساؤلات ما كانت لتطرح قبل استغلال بعض الجماعات المتطرفة للدين لأغراض تحقق مصالحها لا لمصالح الإسلام والمسلمين ولا مصالح الوطن ، ولا الدول الآمنة المستقرة ، حيث استخدمت هذه الجماعات الدين لخداع العامة ، والحصول على تأييدهم ودعمهم الانتخابي أو الأيدلوجي لاعتلاء سدة السلطة وتوظيفها هي الأخرى لصالح الجماعة وأفرادها وعناصرها مع إقصاء مقيت لكل من لا ينتمي إلى الجماعة أي جماعة تتاجر بالدين وتخادع به ، ورمي المجتمع بالجاهلية أو

الكفر أو الفسق والابتداع على نحو ما تؤصل له أفكار جماعة الإخوان الإرهابية وغيرها من الجماعات المتطرفة ، في محاولة للتغطية على أهدافها ومطامعها والعمل على تجييش من تستطيع من الشباب المندفعين المتهورين لمناصرتها في وجه الدولة التي لا تؤمن هي بها في سبيل سعيها الدائم للسطو على مقاليد الأمور .

إنني لا أرى مشكلا على الإطلاق بين الإسلام والسياسة لدى من يفهمون الإسلام فهمًا صحيحًا مستنيرًا ، ومن يفهمون السياسة فهمًا وطنيًا مستقيمًا ، فهما قادران على التعايش والتكامل وتحقيق مصلحة الفرد والمجتمع ، كما لا أرى تناقضًا ولا تقابلا بين علماء الدين والمثقفين فقد تتداخل الصفتان ، وتصير العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص وجهي على حد تعبير المناطقة ، وإن كان لكل منهما منهجه في معالجة القضايا والمستجدات وطرق حل المشكلات .

المشكلة إذن في سوء الفهم وتوظيف الدين أو حتى السياسة لمصالح خاصة قد تقتضي من وجهة نظر غير الوطنيين وغير المؤهلين إقصاء الآخر ، سواء بمحاولة إقصاء الدين عن دنيا الناس إقصاءً تامًّا ، أم بإقصاء الجماعات الدينية لمن لا يؤمن بأيدلوجياتها واتهامهم بالكفر أو الفسق أو الجاهلية .

المشكلة إذن إنما هي في التطرف والإقصاء ، وتتجلى المشكلة غاية التجلي في المتاجرة بالدين واستغلاله مطية لتحقيق مطامع لا علاقة لها بالدين ولا بالشرع الحنيف ولا بأي من الشرائع أو الأديان السماوية ، فكل الشرائع السماوية تقوم على قبول الآخر والإيمان بالتعدد وبحرية المعتقد ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " ، ويقول سبحانه : " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم" .

فعندما تحدث القرآن الكريم عن تكريم الإنسان تحدث عن تكريم الإنسان على إطلاق إنسانيته دون النظر إلى الدين أو الجنس أو اللون أو العرق أو اللغة أو الشكل أو المكانة الاجتماعية ، فقال الحق سبحانه وتعالى: " ولقد كرمنا بني آدم " .

وحين حرم الإسلام قتل النفس حرم قتل النفس أي نفس وكل نفس ، ولم يحرم قتل النفس المسلمة فحسب أو النفس المؤمنة فحسب ، فقال سبحانه وتعالى : " أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا".

وعندما أمرنا الحق سبحانه وتعالى بحسن المعاملة أمرنا بحسن معاملة الناس جميعًا ، فقال سبحانه: " وقولوا للناس حسنًا " ولم يقل : قولوا للمسلمين وحدهم أو للمؤمنين وحدهم حسنًا دون غيرهم، وعندما مرت جنازة يهودي بسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقف (صلى الله عليه وسلم) لها ، فقيل يا رسول الله إنها جنازة يهودي ، فقال

(صلى الله عليه وسلم): " أليست نفسًا ؟ " .

ولما رأى (صلى الله عليه وسلم) امرأة مسنة مقتولة في ساحة القتال ، قال (صلى الله عليه وسلم) : " من قتلها ؟ ما كانت هذه لتقاتل " ، مما يؤكد أن القتل إنما يكون على المقاتلة والاعتداء ، وليس جزاء للكفر ، إذ لا يوجد في الإسلام قتل على المعتقد.

فعندما نفهم الإسلام فهما صحيحا ندرك أن الفتوى قد تتغير بتغير الزمان والمكان والحال ، وأن ما كان راجحا في عصر قد يكون مرجوحًا في عصر آخر أو حالة أخرى ، وأن تنظيم شئون حياة الناس في أكثر جوانبها فيه متسع كبير لمراعاة طبيعة الزمان والمكان ، وأن الشرائع قد راعت تحقيق مصالح البلاد والعباد، فحيث تكون المصلحة المعتبرة فثمة شرع الله (عز وجل)، وأهل العلم والفقه على أن باب الاجتهاد لم ولن يغلق، إذ لم يخص الله (عز وجل) بالفكر والاجتهاد قوما دون قوم أو زمانًا دون زمان .

ولو أننا فهمنا الأديان بروحها السمحة ، وفهمنا المنهج الإسلامي بما فيه من سعة ومرونة ومراعاة مصالح الناس لوجدنا أنه يدفع دفعًا إلى التقدم والرقي ، وإلى التسامح وتأصيل فقه العيش المشترك بين البشر جميعا ، وإلى العمل والإنتاج لا البطالة والكسل ، وإلى الخلق القويم وسائر المعاني الإنسانية السوية ، ولما وجدنا أي تضارب أو تناقض بينه وبين عمارة الكون وبناء الحضارات ، بل وجدناه خير دافع وداعم لذلك كله .

أما المشكل الحقيقي فهو في هذه الجماعات المتطرفة التي انحرفت بالدين عن سماحته ومعانيه السامية ، وعملت على توظيفه لتحقيق مطامعها السياسية ومصالح أفرادها الشخصية ، وأخذوا يلوون عنق نصوصه لخدمة أيدلوجياتهم، وألحوا على ذلك حتى ربط البعض فهم الإسلام بالسلوكيات الخاطئة لهذه الجماعات المتطرفة ومناهجها المنحرفة المحرفة ، مما يتطلب جهدًا غير عادي وغير نمطي وغير

تقليدي لبيان حقيقة هذه الجماعات التي صارت عبئا على الإسلام وعلى الوطن وعلى الإنسانية في آن واحد، مع اتخاذ الإجراءات التي تردع هذه الجماعات المتاجرة بالدين، ولا يكون ذلك إلا بإسناد الدعوة والفتوى إلى أهلها المتخصصين دون سواهم ، وعدم السماح لأي من أعضاء الجماعات الإرهابية المتطرفة والمتشددة باقتحام عالم الدعوة والفتوى الذين يعملون على اقتحامه خلسة أو عنوة.

* * *

لمـــاذا المدرســـة ؟

لا شك أن المدرسة في حقيقة أمرها ليست مجرد وعاء دراسي أو مكان للدراسة إنما مراميها ومبانيها أبعد وأعمق من ذلك بكثير ، فهي ميدان التربية ، وميدان التعليم، وميدان التثقيف والتهذيب، وهي موطن صناعة المواهب في مجالات عديدة منها : الكتابة ، والشعر، والقصة ، والأقصوصة ، والتدريب على الصحافة من خلال الصحافة المدرسية ومجلات الحائط ، والتدريب الإعلامي المبكر من خلال ما يقدمه الطلاب في طابور الصباح وفي المناسبات المختلفة، وهي ذات باع كبير في مجال صنع المبدعين والأبطال الرياضيين من خلال دوري المدارس ومسرح المدرسة، وعلى أقل تقدير يجب أن تكون المدارس كذلك.

وهي مجال صناعة القدوة ، فأثر المعلم القدوة في طلابه وتلاميذه أبعد أثرًا من شخص آخر ، وقد قالوا : حال رجل في ألف خير من كلام ألف رجل ، ولذا قال شوقي :

قم للمعلـم وفــه التبجيــلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

إن تعليمًا حقيقيًا يساوي تقدمًا حقيقيًا، وقد قال الشاعر:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهـم

لم يبن ملك على جهل وإقـــلال

وإن انحرافا عن المدرسة ودورها التربوي يعني انحرافًا عن القيم والسلوك القويم، وعن لغة العلم إلى لغة الشارع، ومن السلوك المنضبط إلى السلوك المنحرف.

إن الانضباط المدرسي أول سلم الانضباط الشخصي في سائر جوانب حياة الشخص ، ثم تلميذًا ، فطالبًا، ذلك

أن تعود الذهاب إلى المدرسة والالتزام بضوابطها التي قد يراها التلاميذ صارمة يعني تعودًا على الانضباط السلوكي وقدرة على التكيف المجتمعي في سائر جوانب الحياة، وإن انفلاتًا مما قد يراه البعض قيدًا مدرسيًا إنما يعني عدم القدرة على التكيف المستقبلي مع ضوابط العمل الجاد .

المدرسة هي محضن هام لصناعة الوطنية المبكرة ابتداء من احترام علم الدولة الخفاق إلى ترديد نشيدها الوطني الذي يترسخ في أذهان التلاميذ منذ نعومة أظافرهم، إلى الحرص على نظافة المكان والحفاظ عليه، إلى التعود على العمل الجماعي من خلال العناية بالفصل، فالفناء، فمحيط المدرسة، وصولا إلى الحفاظ على المال العام من أثاث مدرسي وخلافه، إلى احترام المعلم والكبير والمربي والمجتمع ، والتفاعل معه من خلال الأنشطة

المدرسية التفاعلية مع المجتمع ، إلى الحفاظ على البيئة وترشيد استخدام المياه والكهرباء وأدوات التعلم إلى روح العمل الجماعي ، إضافة إلى التفاعل المبكر مع المعامل المدرسية وصناعة الوسائل التعليمية وفرق العمل المشتركة لحل المشكلات العلمية، إلى المنافسة الشريفة من خلال مسابقات أوائل الفصول، فأوائل الدراسة ، فأوائل الإدارات، فالمديريات ، فأوائل الجمهورية .

إن تعليمًا ينشأ خارج أسوار المدارس لتعليم منقوص مبتور لا يتسق ومواهب أبنائنا ولا يعمل على تنميتها وما يجب أن ينشأوا عليه منذ الصغر ، مع تأكيدنا أن التعليم والتهذيب وقت الصغر لا يدانيه أو يقاربه شيء آخر ، وهذا شوقي يقول :

سارت مهـــا مسرورة مـــع والدٍ حـــانٍ أبـــر

فرأت هنالك نخلـــة معوجـــة بيـــن الشجـر

فتناولـــت حبـــلًا وقالـــت يا أبي هيا انتظر

حتـــى نقـوم عودها لتكون أجمل في النظر

فأجاب والدهـا : لقد كبـرت وطال بها العمر

ومـــن العسيـــر صلاحها فات الأوان ولا مفـر

قد ينفـع الإصـلاح والتهذيب في عهد الصغر

والطفل إن أهملتـــه نشـــئًا تعثر في الكبـر

مما يتطلب منا جميعا التعاون والتعاضد حتى يعود للمدرسة دورها، وأن يحرص أولياء الأمور على تشجيع أبنائهم على الانضباط المدرسي ، وأن يعمل المعلمون القائمون على العملية التعليمية على ترغيب الطلاب وتحفيزهم على الحضور إلى المدرسة من خلال رعاية كاملة وتشجيع للمواهب المختلفة، خدمة لديننا ووطننا وأبنائنا

وواجبنا، كل في مجاله وميدانه ، وأن تضافر الجهات المختلفة في رعاية المواهب المدرسية كل فيما يخصه ويعنيه حتى ننهض بوطننا ونرقى به إلى المكانة التى يستحقها .

* * *

نساء مصريات

(١)

المرأة قسيم الرجل ونصيفه وزوجه وشريكه ، وقد عبر القرآن الكريم في جميع آياته عن المرأة بالزوج ، ولم يذكرها بلفظ الزوجة مرة واحدة ، للتكافؤ حتى في اللفظ ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " ، ويقول سبحانه : " وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ " ، ويقول سبحانه : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً " ، ويقول سبحانه : " وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ

أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ " ويقول سبحانه : "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ" ، حيث يعبر بالزوج هنا عن النظير والضريب والشبيه في السيرة والمسلك.

وقد عرف التاريخ نساء فضليات كثيرات ، ذكر القرآن الكريم عددًا منهن صراحة وآخريات إشارة ، وممن ذكرهن القرآن الكريم صراحة أو إشارة من النساء المصريات اللاتي وُلدن أو نشأن أو عِشن وحَيِـيْنَ على أرض مصر أو قدمن إليها أو مررن بها نذكر هاجر أم إسماعيل ، وأم موسى وأخته ، وامرأة فرعون ، وامرأة العزيز ، وأم يوسف زوج سيدنا يعقوب، على الجميع السلام.

وبما أن هذه الأيام هي أيام الحج فقد يكون من الأنسب أن نبدأ بالحديث عن هاجر أم إسماعيل (عليهما السلام) ، حيث أَمر الله (عز وجل) سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أن يأخذها وولدها إسماعيل إلى حيث أراد الله إلى مكة المكرمة إلى واد غير ذي زرع عند بيته المحرم ، حيث

يقول الحق سبحانه وتعالى على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) : " رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" وهنا يخاطب إبراهيم عليه السلام ربه (عز وجل) ويدعوه قائلاً " ربنا " للتأكيد على أن هذه الربوبية تشمل الجميع إبراهيم وهاجر وإسماعيل ومن ترك من ذريته ببلاد الشام والكون كله فهو سبحانه رب الجميع وكافلهم ، ويذكر بعض الرواة وكتاب التاريخ أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أراد الانصراف التفت إلى زوجه هاجر وولده إسماعيل ، فقالت هاجر لنبي الله إبراهيم عليه السلام ، يا إبراهيم : آلله أمرك بهذا ؟ فقال عليه السلام : نعم ، فقالت عليها وعلى ولدها السلام إذن لا يضيعنا.

ثم يأتي سعي هاجر عليها السلام بين الصفا والمروة ، طلبًا للماء لها ولولدها ، حتى يأتيها الفضل العظيم من رب

كريم بفيض زمزم ، لتكون بركة لها ، ولولدها ، ولأهل حرم الله الآمن ، وللعالمين ، وليصبح السعي بين الصفا والمروة ركنًا من أركان حج بيت الله عز وجل ورمزًا للسعي الجاد والأخذ بالأسباب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن يتأمل رحلة السعي هذه بين الصفا والمروة سبع مرات في هذه المنطقة بما كانت عليها من طبيعة قاسية آنذاك يدرك مدى عزيمة هذه المرأة المصرية المؤمنة التي انقطعت في هذه المنطقة لولدها تقوم على رعايته خير قيام راضية بقدر الله لها ، لا تخشى هذه الطبيعة الصعبة التي كانت في ذلك الوقت جدباء قاحلة موحشة ، إذ كانت (عليها السلام) مؤمنة بأن ربها الذي اختار لها ولولدها هذا المكان كفيل بهما ، أما كيف ومتى فلا علم لها ، غير أن ثقتها في الله لم تقف عند حد ، وعلى أنها لم تقف متواكلة منتظرة أن تمطر السماء لها ذهبًا أو فضة ، لكنها سعت وسعت وجدت واجتهدت وأخذت بالأسباب ، إلى أن عمها خالق

الأسباب والمسببات بفضله وغمرها بكرمه ورزقه الواسع ، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليها وإلى ولدها وإلى هذا المكان المبارك ، وخلد سعيها الميمون في كتابه الكريم وجعله أنموذجا يحتذى ومَعْلما من أهم معالم الحج الجامعة للبشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم لتكتمل العبادة.

* * *

نســـاء مصريـــات

(٢)

أشرنا في حديثنا السابق إلى جانب من قصة هاجر (عليها السلام)، ونتناول في حديثنا هذا طرفًا آخر من حديث القرآن الكريم عن بعض النساء اللاتي وُلدن أو نشأن أو حيين على أرض مصر أو جئن إليها أو زرنها أو مررن بها، ومنهن امرأة فرعون التي امتدحها القرآن الكريم في سورة التحريم، فقال سبحانه: " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"، فاستجاب الله دعاءها، ولم يأخذها بجريرة فرعون أو جرائمه، ذلك أن العدل الإلهي اقتضى " أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى"، وأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما

اكتسبت، وأن الإنسان إذا ما صلح ما بينه وبين ربه لا يضره ضلال من ضل حتى لو كان أقرب الناس إليه أبا أو أخا أو ابنا، أو زوجا كما كان هنا في شأن امرأة فرعون، وهي التي جندها الله (عز وجل) لتحول بين زوجها وحاشيته وبين قتل موسى (عليه السلام) حين ألقى اليم الصندوق الذي وضع فيه موسى (عليه السلام) إلى قصر فرعون، فأرادوا أن يقتلوه، فقالت : " قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" .

وارتباطا بهذا الحديث نقف على ما كان من امرأتين كريمتين عاشتا على أرض مصر هما أم موسى (عليه السلام) وأخته، فعندما أخبر أحد الكهنة فرعون أن طفلا يولد من بني إسرائيل تكون نهاية ملكه على يديه شرع فرعون يقتل أبناءهم الذكور، وفي هذه الفترة العصيبة وضعت أم موسى

(عليهما السلام) وليدها، وخشيت أن يأتي زبانية فرعون لقتله، وهنا جاءها الأمر الإلهي " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" .

ولنا مع هذه الآية وقفات :

١- أن الأصمعي سمع امرأة فصيحة بليغة، فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك، فقالت : وأي فصاحة وأي بلاغة إلى جانب فصاحة وبلاغة كتاب الله (عز وجل)، وقد جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين، أما الأمران فهما : " أَرْضِعِيهِ"، و"أَلْقِيهِ" ، وأما النهيان فهما : "وَلَا تَخَافِي"، "ولَا تَحْزَنِي"، وأما الخبران والبشارتان معا فهما "إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" .

٢- أن الإنسان إذا خاف على ولده وخاصة إذا كان الولد لا يزال طفلا لا يكاد يعقل ولا يعي اجتهد كل الاجتهاد في إبعاده من اليم، لكن الحق سبحانه وتعالى يوجه أم موسى إذا خافت على ولدها بأن تلقيه في اليم، " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " .

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نـم فالمخـاوف كلهــن أمـان

٣- أن البشرى لم تكن بمجرد رده إليها فحسب، إنما تجاوزت ذلك إلى بشرى أخرى وهي جعله من المرسلين، فصنعت أم موسى الصندوق الخشبي، واستجابت في إيمان كبير لأمر ربها، ووضعت في الصندوق وليدها، وألقته في اليم، وقلبها البشري يكاد

ينفطر، وهنا يأتي دور الأخت، "وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ " أي تتبعي مسيره في الماء، " فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ "، فصارت ترقبه على الشاطئ، ولا يغني حذر من قدر، فقد ألقاه اليم إلى حيث كانت أمه تحذر وتخاف، ألقاه إلى قصر فرعون، وتذكر بعض الروايات أن أخته هذه كانت تعمل بقصر فرعون أو لها به صلة ما، وقد أبى الطفل أن يرضع من أي امرأة في القصر، فوقعوا في حيرة العناية به، فقالت أخته : " هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ"، وطمس الله على أفئدة فرعون وحاشيته، فلم يسألوا أخت موسى عن سر ثقتها في أهل هذا البيت، وجاءت البشرى الأولى سريعة غير متوقعة لأم موسى " فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ"، ثم

تحققت بعد ذلك البشرى الثانية بجعله من المرسلين.

ونستطيع أن نؤكد أن دور المرأة تاريخيًا وفي مسيرة الإنسانية لم يكن أبدًا هامشيًا، إنما كان دورًا هامًا وفاعلاً، وفي قصة أم موسى وأخته بدا دورهما في الحفاظ على الأسرة وحمايتها مما يتهددها من تحديات واضحًا بارزًا، مما يؤكد قدرة المرأة على الإسهام في مواجهة المخاطر والتحديات، والحفاظ على بيتها وأسرتها وعرضها وأبنائها، وكذلك الإسهام في نهضة وطنها ورقيه وتقدمه .

* * *

حســـن الخـــاتمـــة

الأعمال بخواتيمها ، وخير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وختم له بحسن العاقبة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا "، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ " ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ " ، قَالَ : " وَمَا يُؤَمِّنِّي، وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ ،

إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ " ، ويضرب القرآن الكريم مثلاً لسوء العاقبة فيقول تعالى: " أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ".

وإذا كنا نُذَكِّر الناس في أول رمضان بأنه إذا جاء رمضان نادى منادٍ من قبل رب العزة (عز وجل) : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، فإننا نؤكد أن الأمر ألزم في هذه الأيام الأخيرة من هذا الشهر الفضيل.

وإذا أردنا أن نعطى علامة من علامات قبول العمل أو عدم قبوله فإننا نذكر منها مدى حب الإنسان للطاعة والعبادة والارتباط بها والاجتهاد فيها والحرص على إتمامها

على الوجه الأكمل ، لذا فقد كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) إذ دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله ، وأيقظ أهله ، وجدَّ واجتهد وشدَّ المئزر، اجتهادًا في العبادة ، وحرصًا على اغتنام هذه الأيام والليالي المباركة على أقصى درجة ممكنة .

وقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ " ، فالشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يثغب دمًا، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، ومن مات حاجًّا بُعِثَ يوم القيامة مُلبيًا ، وهكذا في سائر أعمال الخير، فلينظر كل واحد منَّا في الحال التي يرجو أن يبعث عليها ، ولو فكر كل واحد منَّا في ذلك جيدًا فيما يجب أن يرى نفسه عليه وما لا يجب أن يرى نفسه عليه عند لقاء الله (عز وجل) يوم القيامة لما أقدم على عمل سوء أو منكر أو قبيح قط ، ولاجتهد أن

يكون على الصورة التي يحب أن يلقى الله (عز وجل) عليها.

وليس الأمر في حسن الخاتمة مقصورًا على أعمال العبادات من صلاة وصيام وحج ودعاء وذكر وقراءة قرآن ، أو محصورًا في هذه الأمور فحسب ، إنما حسن الخاتمة يتجاوز ذلك إلى كل عمل يقوم به الإنسان ، فمن كان يكفل يتيمًا فلا ينبغي أن يتركه في منتصف الطريق بلا عذر ، إنما عليه أن يأخذ بيده إلى أن يبلغ رشده ويقوى على حمل أمره ، وكذلك من يقوم على شأن طالب علمٍ فقيرٍ ، فليجتهد أن يواصل الخير معه إلى أن يحصل على أعلى الدرجات العلمية ما دام هذا الطالب مؤهلاً لذلك ، وكذلك من يعمد إلى بناء مسجد أو مشفى أو دار سكن لإيواء غير القادرين أو أطفال الشوارع أو سكان بعض العشوائيات ، كل هؤلاء عليهم ألا يتوقفوا في منتصف الطريق وألا يصابوا بالفتور ،

إنما عليهم أن يواصلوا العمل ما وسعهم ذلك، وكذلك حال من يعلم العلم أو الفقه أو القرآن الكريم .

وليدرك الإنسان أنه كلما دنا أجله كان أكثر حاجة أن يبذل جهدًا أكبر في الخير ، نسأل الله (عز وجل) أن يوفقنا لعملٍ صالحٍ ثم يقبضنا عليه غير ضالين ولا مضلين ، ولا مغيرين ولا مبدلين ، ولا فاتنين ولا مفتونين ، وأن يتقبل صلاتنا وصيامنا وركوعنا وسجودنا ، وأن يجعلنا في ختام هذا الشهر الكريم من عتقائه من النار، وأن يرزقنا الدوام على طاعته، فخير الأعمال ما داوم عليه صاحبه وإن قل.

* * *

محتويات الكتاب

م	الموضـــــــــــوع	الصفحة
١.	المقدمة	٥
٢.	في رحاب فن المقال	٧
٣.	أسئلة مشروعة وأخرى ممنوعة	١٧
٤.	تنـــافس الأقـــران والمعاصـــرين وغـــير المتناظرين	٢٣
٥.	مسجد التسامح	٢٩
٦.	تحريف الدين وتزوير التاريخ	٣٣
٧.	المنتج الوطني	٣٨
٨.	مال الوقف ومال اليتيم	٤٣
٩.	السلام النفسي	٥٠
١٠.	إفشاء السلام قيمة لا شعار	٥٦
١١.	اللوائح والقوانين وحتمية المراجعة	٦٠
١٢.	نسف البيروقراطية	٦٥

١٣.	تغييب العقل	٧٠
١٤.	المال الحرام سم قاتل	٧٦
١٥.	صناعة القادة	٨٣
١٦.	الانحياز الإيجابي	٨٧
١٧.	الاتزان السياسي	٩١
١٨.	الجمال الحقيقي والصداق الحقيقي	٩٧
١٩.	دولة الإخوان الاقتصادية	١٠٢
٢٠.	الخلايا النائمة والخطاب المزدوج	١٠٧
٢١.	هدم الرموز وزعزعة الثوابت	١١٤
٢٢.	الدولة الوطنية والهوية العربية	١٢٠
٢٣.	الخطاب العلمي والخطاب العاطفي	١٢٨
٢٤.	العبور الثالث	١٣٣
٢٥.	القيم الإنسانية	١٤٠
٢٦.	الثالوث المقوم	١٤٧
٢٧.	الوجوه المسفرة	١٥٢

٢٨.	نحبك يا رسول الله	١٥٨
٢٩.	إلا حرم رسول الله وجواره	١٦٣
٣٠.	حق الوالدين	١٦٧
٣١.	حق الجوار	١٧٣
٣٢.	سلامة الصدور	١٨٠
٣٣.	المسجد الجامع	١٨٧
٣٤.	الخطاب الديني المختطف	١٩٢
٣٥.	الإسلام السياسي والتطرف الديني	١٩٨
٣٦.	لماذا المدرسة ؟	٢٠٥
٣٧.	نساء مصريات (١)	٢١١
٣٨.	نساء مصريات (٢)	٢١٦
٣٩.	حسن الخاتمة	٢٢٢